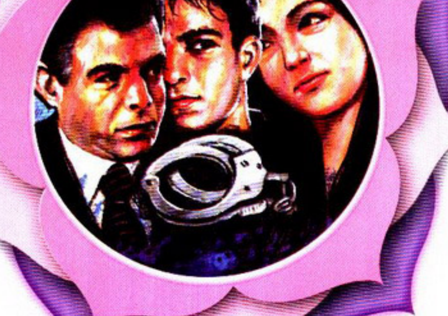
روايات مصرية للجيب

زهور
110

أغلى من الحب



فوزي عوض

هذه السلسلة ..

عندما تتحول حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..

وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..

يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحب الذى يروى هذه المشاعر .

فيعيد إلـى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلـى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فيشع عبيرها الفوّاح فى ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

الفصل الأول

خرج القاضى من قاعة الجلسة بادى الإجهاد ، رغم أنه لم ينظر طوال اليوم سوى قضية واحدة ؛ ولكنها كانت قضية الموسم .. المتهم فيها طالب جامعى ثرى متهم بقتل صديقه بعد فشله فى إغواء خطيبته .. كانت جلسة عاصفة ، امتدت لأكثر من خمس ساعات ، غادر بعدها القاضى القاعة وأعصابه شبه محطمة ..

مضى فى (الكوريدور) المؤدى إلى استراحة القضاة ، فإذا بصوت حريمى رصين يناديه من خلفه :

ـ سيادة المستشار !

توقف القاضى ملتفتًا ، فإذا بامرأة رائعة الجمال ، تنم أناقتها ورصانتها عن وسطها الراقى .. راحت تتقدم منه بتؤدة ، وكأنها تَعُدُّ خطواتها ، حتى توقفت أمامه ، تحلق بعينيها النجلاوتين الجريئتين على وجهه لبرهة ، أردفت بعدها فى حميمية رصينة :

ـ كيف حالك ؟

ولم يملك القاضى الوسيم إلا أن يجيبها فى دهشة :

ـ الحمد لله يا افندم .

وسكت متطلعًا إليها فى تساؤل ، فإذا بالمرأة الحسناء لا تكف عن التحليق بنظراتها الجريئة على وجهه ، وكأنها تستنطقه ، فلم يملك إلا أن يسألها بدهشته :

ـ أية خدمة يا افندم ؟

انساب فوق شفتيها طيف ابتسامة ، ثم أجابت سؤاله بسؤال :

ـ ألا تعرفنى يا سيادة المستشار ؟

وجد نفسه يدقّق النظر فيها ، ثم يجيبها فى حرج :

ـ معذرة يا افندم .

ولم يزدها جوابه إلا تبسمًا ، راحت بعده تحشد نظراتها فى عينيه ، بينما ارتفعت يدها ، لتخرج من صدرها سلسلة فضية ، تتدلى من عنقها ، منتهية بقلب صغير نقش عليه حرفا « M ـ G » ، ما إن وقع نظر القاضى عليهما حتى انتفض كل كيانه من المفاجأة ، وانفلتت منه غمغمته الذاهلة :

ـ (ماجى) !

وكان ردّ المرأة بابتسامتها الرصينة :

ـ نعم يا (جلال) باشا ..

(ماجى) ..

وغرق القاضى فى غمار المفاجأة ، وهو يحدّق فى المرأة غير مصدق عينيه ، فإذا بها تردف قائلة بتبسمها الرصين :

ـ أنا فى انتظارك فى سيارتى أمام المحكمة .

واستدارت منصرفة بخطواتها الوئيدة ، دون انتظار لجوابه ..

لحظات وكانت المرأة الحسناء تنطلق بسيارتها الـ « جاجوار » ، بينما القاضى الوسيم جالس إلى جوارها ، لا يكاد يرفع عينيه عنها ، وقد احتشد فيهما ألف سؤال وسؤال ، ولا جواب من المرأة عنها جميعًا سوى ابتسامتها الرصينة المشفقة ، وهى تنطلق بالسيارة فى هدوء وتمكن زاداها إثارة فوق إثارتها ..

كانت (ماجى) فى العقد الرابع من عمرها ، ذات جمال زاعق يندر أن تفوز به امرأة ، وكانت أناقتها الطاغية ترتفع بجمالها إلى حد الأسطورة .. وكانت شخصيتها لا تقل إبهارًا عن مظهرها .. إنها دائمًا تتصرف وكأنها ملكة .. النظرة بحساب .. الكلمة بحساب .. الابتسامة بحساب .. وكل تصرف منها بحساب .. وكان ذلك إفرازًا طبيعيًا لبيئتها .. فهى ربيبة عائلة من أغنى عائلات « مصر » ، وأرملة تاجر سلاح مصرى عالمى ، كان يقيم بها فى « أمريكا » حتى وفاته منذ سبعة أعوام ، لم تظهر خلالها بـ « مصر » إلا اليوم ..

وكان ظهورها مفاجأة العمر للقاضى الوسيم ..

معقـول !

معقـول (ماجى) بعد كل هذه السنوات ؟!

بعد ما يزيد على العشرين عامًا ؟!

ياااه !!

حقًا طالما كان هناك بقاء فلابد من اللقاء ..

كان هذا أول ما حدّث به القاضى الوسـيم نفسه ، وهو يبعثر نظراته المشدوهة على وجه الحبيبـة الفاتنـة العائدة من بعد غيـاب عقدين من الزمان .. عادت أجمل وأشهى وأطغى سـحرًا ، وكـأن زيادة سنوات العمر لم تزدها إلا سـحرًا فوق سـحرها الأصيل .. مما جعل افتتان القاضى الوسيم بها يسطع فـى عينيـه المحلقتين على وجهها ..

كان مثلها فى العقد الرابع من عمـره ، ومثلها فى الوجاهة .. فوسامته مفرطة ، وأناقته مفرطة ، وقـوة شخصيته مفرطة .. وكان معروفًا عنه أنه رجل خُلق للنزاهة والنجاح منذ أن كان زميلاً لها فى كلية الحقوق .. ورغم أنه لم يكن من شلتها فى الكليـة ، إلا أن حديث الفتيات عن وسامته ، وعزوفه عنهن اهتمامًا بدراسته لفت نظرها إليه لتجد نفسها مدفوعة إلى التعرف عليه .. فلم تضيع وقتًا .. توقفت بسيارتها الشيك أمامه ، وهو يقف بمحطة الأتوبيس المواجهـة لبوابـة الجامعة ، ودعته إلى الركوب ، ليجد نفسه متطلعًا إليها فى دهشـة ..

نعم ، هى زميلة له فى المدرج ، ولكن لاتربطه بها أية معاملة ، اللهم إلا نظرة إعجاب تنفلت منه كلما وقعت عيناه عليها بيـن شلتها ، فقد كان جمالها طاغيًا ملفتًا للنظر ، إلى الحد الذى كان يجعله يتسـاءل فى نفسه كلما وقعت عيناه عليها : أى رجل هذا الذى سيفوز بكل هذا الجمال ؟ وما كان يخطر له فى أكثر أحلامه استحالة أن يكـون هو هذا المحظوظ .. فها هو الجمـال المستحيل بنفسه يدعوه إلـى صحبته ، ولا يدرى بماذا يجيبه .. ظل يتطلّع إليهـا بدهشـته التى ألجمت لسانه ، حتى أفاق على صوتها المفعم بشقاوتها :

ـ ماذا يا متر ؟ ألم تسمعنى ؟

اركب ..

ولم يملك المحظوظ إلا تلبية الدعوة ، لتبدأ قصة الحب ، التـى صـارت حديث الكليـة والجامعـة بأسرها .. حديث غلبـت عليـه الدهشـة والتعجب .. فـالكل وجد نفسـه ينظر بإعجـاب إلـى ابن عزبة « الهجانة » الذى استطاع أن يوقـع بهـذه السمانة العاليـة ابنة « الزمالك » فى شباكه ..

ونفس هذا الكل راح يتندر بحماقة هذه السمانة العالية التى نزلـت بنفسـها إلى مستوى العزب .. ولكن لا أحد من هذا الكل كان يجرؤ علـى مواجهـة الحبيبين الطـائرين بشـىء مـن هذيـن الرأييـن.. واكتفوا جميعًا بالمراهنة على نـهاية هذا المشوار ، وانقسموا فـى

ذلك إلى فريقين .. أغلبية راهنت على فشله ، وأقلية راهنت على نجاحه .. وراح الفريقان ينتظران ، ولم يطل انتظارهما .. فما هو إلا شهر واحد عقب نجاح الحبيبين فى الليسانس حتـى دوّت النهاية على صفحات الصحف والمجلات .. تم عقد قران الآنسة « مـاجى الدهشورى » علـى رجل أعمـال مصرى مقيم فـى « أمريكـا » ، أخذها وطار إلى « نيوجيرسى » عقب حفل الزفاف مباشرة !!

وكادت صدمة العمر أن تذهب بعقل ابن « الهجانة » ، وتقضـى عليه ، لولا أن أباه ابن البلد القوى أسرع يستنهض فيـه رجولتـه وكرامتـه ، ليحـول الأمـر بداخله إلى قضـية كرامة .. كرامة من لا يملكون سوى كرامتهم .. وكرامتهم فى صلابتهم .. فى تفوقهم ... فى تقدمهم الصفوف .. على هؤلاء الذى يتوهمون أنفسهم بأموالهم أسيادًا ، باستطاعتهم اللهو بمشـاعر النـاس ، ويفوتهم أن مجرد أوهامهم هذه تكشف حقيقتهم كعبيد مقتنعين بثرائهم ..

وينجـح الأب فى استنهـاض ابنـه من كبوته الطاحنـة ، وفى شـد عزيمتـه .. وينهض الابـن ممتطيًا جـواد الحيـاة ، فـإذا بـه يتلقّى أولـى ثمـار نهوضـه .. تعيينـه فـى النيـابـة العـامـة .. وإذا بالثمار الطيبة تتوالـى ، فيتزوج مـن فتـاة طيبـة من عائلـة كريمـة تغمـره حبًـا ، وتنجـب لـه طفلـة جميلـة ، تكتمـل بهـا سعادتهما ..

ولكن السعادة إذا ما اكتملت غربت ..

خطف طائر الموت الزوجة المحبة الطيبة قبل أن تكمل طفلتهـا عامها السابع ، ليجد رئيس النيابة نفسه أرمل فى ريعان شبابه ، وفى رقبته طفلة يتيمة ..

ومرة أخرى أسرع الأب ابن البلد القوى يأخذ بيد ابنه قبل أن يسقط فى قاع المحنـة .. ومـرة أخـرى نجـح فـى استنهاضه من كبوته ، وفى إعادته فارسًا عفيًّا فوق جواد الحياة .. ومرة أخرى عاد الابن الطيب يتلقى ثمرة نهوضه من كبوته ، فلم يكـد يمضـى عليه عامان حتى كان يُنصب قاضيًا ، ليواصل جواده الانطلاق به علـى درب النجـاح حتىوجـد نفسـه يتبوأ مقعـد رئيـس محكمـة الجنايات قبل أن يتم عامه الخامس والأربعين ..

مشوار طويل شاق ، حافل بمحطات النجاح والكبـوات والفرح والعذاب ، جعل « جلال » يألف سُنة محطات الحياة ، فراح يتطلع ـ كلما خلا إلى نفسه ـ إلى المحطة الجديدة القادمة .. ولم يكن يدرى أنها محطة قديمة .. أقدم محطات حياته ، وأشدها نحتًا فى نفسه على الإطلاق ..

محطة تحمل عبق الحب ..

وبصمة الغدر ..

وحيرة التساؤلات المؤلمة الذاهلة التى لم تجد لها أجوبـة منذ عشرين عامًا وحتى الآن !!!

محطة ثقيلة ، ثقل ما فيها من مرارة ومن أنين .. فما الداعى إلى بعثها الآن ؟

هكذا وجد القاضى الوسيم نفسه يتطلـع بمنتهى الحيرة والدهشة إلى الحبيبة العائدة ، وهو يجلس أمامها حول إحدى موائد الـ « موفنبيك » ، بينمـا هـى تتلقـى نظراتـه المشـدوهة الحـائرة بابتسامتها الرصينة المشفقة ، حتى وضع الجرسون مشروبيهما أمامهما وانصرف ، فإذا بها تنظر فى ساعتها ، ثم تبادره قائلة :

ـ يا سيادة المستشار .. أنا معك من « ٣٣ » دقيقة ، وبعد « ٢٢ » سنة فراق ، ولم أسمع منك كلمة ترحيب واحدة .

فوجئ بطريقة عتابها ، فكان رده معجبًا :

ـ يا له من عتاب أمريكانى .

ثم أردف باسمًا :

ـ حمد لله على السلامة .

ابتسمت وهى ترفع كأس عصيرها إلى شفتيها .. أخذت منه رشفة رقيقة ، ثم أعادته إلى مكانه مداعبة :

ـ هل المناصب تغيّر الناس هكذا ؟

سلامك البارد خيّب ظنى .

لم يملك إلا أن يبتسم للباقتها .. من يومها وهى تحسن التعبير عما تشعر به .. أخذ رشفة من قهوته ، ثم سألها :

ـ متى وصلت ؟

ـ اليوم .. من ثلاث ساعات فقط ..

قطب جبينه دهشة :

ـ من ثلاث ساعات وجئتِ لملاقاتى ؟

وكان ردُّها مبتسمة :

ـ أرأيت ؟ ترمومترى لم يهبط بعد ..

انفلتت منه ابتسامته الفائحة بشىء من السخرية :

ـ مع أن الغرب ليس به سوى البرودة ..

كادت تنفلت منها ضحكتها ، لولا أنهـا سارعت بكتمهـا ، مما جعله يسألها :

ـ هل قلت ما يضحك إلى هذا الحد ؟

ـ بل ذكرتنى بمثل شعبى كثيرًا ما كنت تردده لى أيام الجامعة « لا يأتى من الغرب شىء يسر القلب » .

ـ مثل أمى الله يرحمها .

ـ يخيل إلىّ أنك عنيتنى به وأنت تذكر برودة الغرب .

همَّ بأن يجيبها بشىء ، فإذا بها تقاطعه بلهجة بنات البلد :

ـ عمومًا اطمئن يا سيادة المستشار .. أنا «ماجى الدهشورى» .. مصرية أبًا عن جد .. فى الشرق مصرية ، وفى الغرب مصريـة .. بل وقلبى مغلق علـى قطعـة مصريـة تحمل كل سحر «مصر» وعظمتها ..

وفوجئ القاضى ..

فوجئ باللهجة ..

وبالرسالة ..

وبالنظرة الساخنة التى حملت الرسالة إلى عينيه مباشرة ..

أهذه هى «ماجى» بنت الذوات ؟!

ومن أين أتت بهذه القدرة على التلون ؟!

وارتسمت دهشته جلية على وجهه ، فإذا بشـىء من المرارة ينساب على وجهها وفى نبرتها ، وهى تقول له :

ـ أنا ملتمسة لك العذر .

وتحركت مرارته هو أيضًا :

ـ فيمَ بالضبط ؟

ـ فى كل ما يجول بخاطرك الآن ، وفى فكرتك عنى .

طفحت مرارته :

ـ فكرتى لم تأتِ من فراغ يا «ماجى» هانم .

ـ لذلك ألتمس لك العذر .

وبدت وكأنها تتعرض لهجمة ألم شرسة ، جعلتها تطرق بعينيهـا إلى كأس العصير لوهلة ، رفعت بعدها عينيها إليه قائلة فى شبـه رجاء :

ـ شىء واحد فقط أريدك أن تصدقنى فيه يـا (جـلال) ، وهـو أننى لم أفرط للحظة فى حبى لك .

انفلتت منه ابتسامة هى السخرية بعينها :

ـ لم تفرطى فى حبى وتزوجتِ غيرى !

ـ لم يكن زواجًا يا (جلال) .

ـ ماذا كان إذن ؟ إشاعة ؟

ـ بل صفقة ..

انفلتت سخريته من عقالها :

ـ آه .. الأسطوانة المشروخة إياها .. البنت التى تزوجت ثريًا لتنقذ أباها أو عائلتها من الإفلاس !!

جرحتها كلماته ولهجته ، ولكنها لم تملك إلا ابتلاعها كى يمكنها مواصلة الذود عن نفسها .. تطلعت إليه قائلة بمرارتها :

ـ هو ذاك يا سيادة المستشار ، ولكنها ليست أسطوانة ، بل حقيقة ثابتة .. ويمكنك التأكد منها .

ـ التأكد منها ؟ التأكد منها بعد أكثر من عشرين عامًا ؟

ـ هذه أمور لا تموت يا سيادة المستشار .

وإذا بالمفاجأة التى أطاحت بقرف المستشار ونقمته على الفور ، مفسحة المجال بداخله إلى الشعور بتصديقها .. إنها الدموع التى ظهرت فى عينى المرأة الأبعد ما تكون عن الدموع والبكاء ..

دموع منيعة تنساب من العينين القويتين اللتين لم يكسرهما الألم يومًا ما ..

ها هو وجه حبيبة الماضى يحتقن ألمًا ، فيبدو مثيرًا للشفقة ..

ها هى علامات الضعف تعتصر ملامحها الرقيقة بلا رحمة ، فتبدو كعصفور يُذبح ..

الحزن والألم والضعف إذا ما اجتمعوا على وجه امرأة حركوا أشد القلوب قساوة ، فما البال بقلب عاشق قديم ؟

وجد نفسه يناولها منديله بقلب خافق .. انتظرها حتى جففت دموعها ، ثم بادرها فى خجل وإحساس بالذنب :

ـ أنا آسف .

وكان جوابها فى حزن :

ـ لا عليك .. هذا قدرى ، وأنا راضية به .

رفع يده لها بكأسها فى حنو :

ـ اشربى العصير كى تهدأ أعصابك ..

تناولته منه ، وهى تقول له معتذرة :

ـ أنا الآسفة .. جددت آلامك .

وإذا برد القاضى الوسيم برصانة لا تخفى شقاوته :

ـ إذن فعليك مداواتى منها .

وإذا برد الحبيبة العائدة بمنتهى الجدية .

ـ ما عدت إلا لهذا يا سيادة المستشار .

وفوجئ القاضى بجوابها وبجديتها :

ـ ماذا تعنين يا (ماجى) ؟

ـ أعنى ما قلته يا (جلال) .. أنا التى جرحتك ، وأنا الملزمـة بمداواة جرحك .. هل تمنحنى الفرصة ؟

وجاءها جوابه ، نظرة حيرة عكست تأرجح وجدانـه كلـه بين الخوف والرجاء .

★ ★ ★

الفصل الثانى

بدت قاعة الجلسة وكـأنها ليس بها مكـان لقـدم .. اكتظت بذوى المتهـم والقتيـل وأصدقائهما وجيرانهمـا ، وبالجمهـور الغفير الذى جلبته وسائل الإعلام بتحويلها القضيـة إلى قضية رأى عـام ..

وكـان السواد الأعظم من الحضور يفور بسخط عاتٍ علـى القاتل ابن الذوات .. لو طالته أيديهم لمزقته إربًا إربًا ، انتقامًا منه ، ومن نخبته كلها ، ومن هنا راحت نظراتهم النارية تلتهمـه وهـو يتحدث إلـى أصدقائـه مـن داخـل القفـص ، غـير مبـالٍ بهـذه النظرات ، ولا بأصحابها ولا بسخطهم .. بل إنه من لحظة لأخرى كـان يرميهم بنظـرة عجيبـة تثير حفيظتهم ودهشتهم .. نظـرة تـوحى بأنـه غير نـادم على جريمتـه البشـعة ، بـل متبـاهٍ بهـا .. وفى الحقيقة كان نصيب كبير من شعوره قريبًا جدًا إلى هــذا .. كان شـعور مـن فعل ما لا يجرؤ سـواه على فعلـه ، أى شـعور بالزهو ، وكأن مـا فعلـه بطولـة ، وليس عـارًا ينـدى لـه الجبين خجـلاً .. شيطانه صوّر له هذا ، وأعماه عن بشاعة ما اقترفت

يداه ، وأعماه عما يمكن أن ينتهى إليه مصيره ؛ ومن هنا كان هذا الاطمئنان العجيب الذى يملؤه وهو يتحدث إلى أصدقائه من داخل قفصه .. اطمئنان أقرب إلى الثقة بأن القضية برمتها ليست سوى فرقعة إعلامية ستنتهى بإفلاته منها ، وإلا ما فائدة أباطرة المحامين هؤلاء الذين يتولون الدفاع عنه ؟ اثنان منهم قاضيان سابقان ، والثالث كان أستاذًا لرئيس المحكمة الذى يتولى القضية ..

إذن فأين ستذهب البراءة منه ؟

هكذا وقف قاتل الموسم داخل قفصه متماسكًا مطمئنًا .. إنه طالب بالـ « مودرن أكاديمك » ، قوى البنية ، وسيم الملامح ، يكاد يكون فى شكله نسخة كربونية من النجم الشاب « كريم عبد العزيز » .. ناوله أحد أصدقائه الواقفين معه سيجارة ، فأشعلها بهدوئه ، بينما سألته صديقة :

ـ ألم تعد مامتك بعد يا (رامى) ؟

وكان جواب (رامى) نظرة مرارة مرسلة فى دخان السيجارة المنطلق من أنفه ، مما جعل الفتاة تتساءل فى دهشة :

ـ معقول ! أمّ لا تُهرع إلى ابنها فى ظروف كهذه ؟!

وكان ردّ الفتى بمرارته :

ـ وماذا تتوقعين من أم لا يربطها بابنها سوى جسر من الأموال ؟

وما كاد يتم جوابه حتى دوّى صوت .. حاجب الجلسة :

ـ محكمة !

وأطبق السكون على القاعة ، ودخلت هيئة المحكمة متخذة أماكنها .. وللحظات راح المستشار (جلال عبد الباسط) ينظر فى ملف القضية ، ثم رفع وجهه طالبًا الشاهدة الأولى فيها ..

ونودى عليها ، فدخلت .. فتاة جميلة أطفأها الحزن الشديد البادى عليها ، والثياب السوداء التى ترتديها .. تلقّاها القاضى بنظرة مشفقة ، ثم بادرها متسائلاً :

ـ اسمك وسنك وعنوانك ؟

ـ (إيمـان أحمـد عيـد) .. ٢١ سنـه .. ٢٣ شارع المدرسة ... إمبابة .

ـ هل تعملين يا (إيمان) ؟

ـ نعم يا افندم .. بائعة أدوية فى صيدلية .

ـ أنت خطيبة المجنى عليه « طاهر سعيد رجب » ؟

ـ نعم يا افندم .

ـ وما علاقتك بالمتهم ؟

وجدت نفسها تلتفت نحو المتهم الواقف فى القفص ، تحدجـه بنظرة سخط دامعة ، تحرك معها سخط كل الموجودين فى القاعة ، مما اضطر القاضى إلى تكرار سؤاله لها :

ـ ما علاقتك بالمتهم يا (إيمان) ؟

انقلب سخط (إيمان) كله إلى احتقار ، راحت تصبـه بعينيها على المتهم ، وهى تجيب القاضى :

ـ أنـا لا يمكن أن تربطنـى علاقـة بهـذه الأشـكال يـا حضـرة القاضى .

والتفتت إلى القاضى وهى تمسح دموعها ، ثم أردفت قائلة :

ـ كان صديقًا للمرحوم خطيبى .

ـ وما الذى حدث بينهما ؟

انفلتـت منهـا مـرة أخـرى نظرتهـا السـاخطة إلـى المتهـم ، ثـم أجابت القاضى بحزنها :

ـ سأروى لسيادتك الحكاية من بدايتها يا حضرة القاضى .

ـ تفضلى .

أطــرقت لبـرهــة ، مستحضـرة تركيزهـا ، ثـم شرعـت فــى روايتها :

ـ بعد خطبتى للمرحوم بأسبوع تقريبًا ، دعانى إلـى حفل عيد ميلاد صديق لـه فذهبت معه ، لأجد نفسـى فـى فيـلا فخمـة فـى « المقطم » ، تعجُ بشـباب وفتيـات فـى منتهـى الإنحـلال ، فـأبديت ضيقى للمرحوم ، ورغبتى فى الانصراف ، فـإذا بصديقـه صـاحب عيد الميلاد ، وصاحب الفيـلا ، والـذى عرّفنـى بـه المرحـوم عنـد استقباله لنا يسارع باستضافتنا بمفردنـا فـى « فرانـدة » الفيـلا ؛ وراح يقوم معنا بواجب الضيافة حتى انصرفنا .

هنا قاطعها القاضى متسائلاً :

ـ صديقه هذا هو المتهم ؟

ـ نعم يا حضرة القاضى .

ـ أكملى .

ـ فى طريق عودتنا من الحفل ، لم أستطع تكتم السؤال الذى كان يشغلنى من لحظة دخولى الفيلا ، وهو ما الذى يربط خطيبى المعروف بأدبه والتزامه بشاب من هذا الصنف ؟ وكان جواب خطيبى أنه صاحب المطعم السياحى الذى يعمل به ، وهذا ما يضطره إلى مجاراته فى بعض المجاملات .. فالتمست له العذر ، واعتبرت الأمر منتهيًا عند هذا الحد .. ولكننى ما لبثت أن اكتشفت أنها البداية ، وليست النهاية ..

ـ كيف ؟

ـ قبل أن ينتهى اليوم التالى لهذا التعارف المشئوم ، فوجئت بـ (رامى) يحضر إلىَّ فى الصيدلية ، ويغازلنى بوقاحة ، بل ويطلب منى الخروج معه منفردين ، وكان ردى عليه أن طردته دون أن أرفع صوتى حتى لاتحدث شوشرة فى الصيدلية ،

فإذا بجوابه بمنتهى البرود أنه سيمر علىَّ غدًا ، واستدار منصرفًا ..

وسكتت (إيمان) قليلاً من فرط كمدها ، ثم عادت تواصل روايتها :

ـ ومن هنا بدأت مضايقات (رامى) لى .. وفى البداية رحت أكتم هذه المضايقات عن خطيبى ؛ حتى لا أتسبب له فى مشكلة ، وفى الوقت ذاته رحت أحاول ردع (رامى) ، ولكنه أبدًا لم يرتدع ، بل راح يتمادى فى وقاحته وسخافاته متجاوزًا كل الحدود ، فلم أجد أمامى مفرًا من مصارحة خطيبى ، ليحدث ما كنت أخشاه من بداية الأمر ، وحاولت جاهدة تجنبه .. استشاط المرحوم غضبًا ، وانطلق إلى (رامى) فى المطعم ، حيث اشتبك معه فى عراك عنيف ، تضامن فيه عمال المطعم مع (رامى) معتدين بالضرب على المرحوم ، فلم يملك المرحوم إلا أن يرد الإهانةَ لـ (رامى) بقوله له علنى أمام جميع الموجودين بالمطعم : « يكفى أنها تحبنى أنا ، وتحتقرك أنت مثل الكلب » .

ـ وهل حضرتِ أنت هذه الواقعة ؟

ـ نعم يا حضرة القاضى ، فقد جريت فى إثر المرحـوم عندمـا انطلق بغضبه إلى المطعم ، بل إننى بصقت على هذا الحقير وسط مطعمــه ، وأمــام الجميــع ، فــإذا بـــه يجيبنـــى قــائلاً « يومًــا ما سينالنى ، ولو اضطر إلى قتله » .. وراح ينظر إلـى المرحـوم متوعدًا ..

التفت القاضى إلى المتهم يسأله :

ـ أأنت قلت هذا يا (رامى) ؟

وجاء ردُّ المتهم بوقاحة :

ـ كنت أرد على بصقتها علىَّ .

عاد القاضى بعينيه إلى الفتاة :

ـ ثم ماذا يا (إيمان) ؟

ـ انصرفت أنــا والمرحــوم ، والــذى قرر بالطبع عدم العمل فى مطعــم هــذا الحقيــر مــرة أخــرى ، وأيدتــه أنــا فــى ذلــك ، حتى نغلق الباب الذى تأتينا منـه الريـح ، ولكن الريح أبت أن تتركنــا .

ـ كيف ؟

ـ بعد ذلك بأربعة أيام ، وفى الليلة المشئومة حضر المرحـوم إلى الصيدلية فى العاشرة مساءً تقريبًا ، ليصحبنى إلـى منزلى كعادته ، ولكن ما إن ابتعدنا عـن الصيدليـة لبضعـة أمتـار ، حتـى فوجئنا بسـيارة (رامـى) تقطــع علينـــا الطــريق ، و(رامـى) ينزل منهــا ، ليدخـل فى وصـلـة اعتــذارات مكثفـة ، لـم يترك فيها كلمـة اعتـذار أو ندم إلا واستخدمها .. وبطريقـة بلغـت حد التوســل ..

وأسقط فى يدنا ..

ولم ندرِ بماذا نجيبه ؟!

بينما مضى هو يعتذر ويعتذر ، ويبرر ، ويتوسل ، حتى شعرنا وكأنه سيبكى ، فلم أدرِ بنفسى إلا وأنا أجيبه : بأننا سامحناه ..

وليلتقطها منى المرحوم ، فيبتسم له صافحًـا عنـه ، فيتعانقـان فى حرارة .. ولنركب ثلاثتنا السيارة حيث تنزهنا قليلاً ، قبل أن يوصلانـى إلـى منزلى ، ثـم انصرفا معًا ، ولـم أكـن أدرى أنهـا ستكون آخر مرة أرى فيها حبيبى .

واختنـق صـوت الفتـاة الحزينـة بالدموع ، فلـم يملـك القـاضى إلاّ أن ينتظر قليلاً حتى تهدأ ، ثم عاد يسألها :

ـ ماذا حدث بعد ذلك ؟

ـ بمجرد أن دخلت شقتنا اتصلت بـ (طاهر) ، فـأخبرني بأنـه سيسـهر قليلاً مـع (رامـى) فـى المطعـم ، وطمـأننى عليـه ، فتناولت عشائى مع بابا وماما وإخوتى ، ثم أويت إلـى فراشـى ، وذهبت فى النوم .. ولكن ماهما إلا ساعتان تقريبًا حتى وجدتنـى انتفض من الفراش مقبوضة القلب .. فقد داهمنى هـاجس فظيـع بأن حبيبى يتعرض لمكروه .. أسرعت اتصل بـه على (الموبـايل) ، فـإذا بتليفونـه مُغلق علـى غير العـادة .. ازداد فزعـى عليـه .. أسرعت أتصل به على تليفون أختـه التـى يقيم معهـا ، فـإذا بهـا تخبرنى بأنه لـم يعد بعد ، وبأنهـا فـى غايـة القلق عليه بسبب إغلاقه (موبايله) ، فأخبرتها بحكاية (رامـى) ، وطلبـت منهـا رقـم (موبايله) ، وأسرعت بالاتصال به ، فـإذا به يخبرنى بأن (طـاهر) لم يبق معه سوى نصف ساعة ، انصرف بعدهـا .. هنـا تحـرك الشك فـى قلبـى تجاه (رامـى) .. وعدت مرة أخرى أحاول مـع (موبايل) المرحوم تارة ، وأتصل بأختـه تـارة أخـرى ، حتـى طلـع النهـار ، فأسرعت إلـى أختـه ، وانطلقنـا معًـا إلـى قسـم البوليس لنبلغه .

وهنا هاجت دموع الفتـاة مندفعـة مـن عينيهـا ، فقد هاجمتهـا الذكرى السوداء ، وهى تردف منهية روايتها للقاضى :

ـ وبينما نحن فى القسم وصلت إشارة بالعثور على جثة المرحـوم فى صحراء الهرم ، فهُرعنا مع البوليس ، لنجد حبيبى مذبوحًا وممزقًا بمنتهى الوحشية .

وانفجر نحيب الفتاة ، حتى بدت وكأنها ستسقط فـى مكانهـا ، فـإذا بهـا تلتفت إلـى المتهـم الواقف فـى القفـص .. وبدموعهـا المتدفقة من عينيها كالشلالات ، وبعذابها الضارى الذى يفترسها بلا رحمة .. وبالنار الشعواء التى تشوى قلبها راحت تسأله :

ـ لمـاذا ؟!

لمـاذا ؟!

أليس إنسانًا مثلك ؟!

ماذا فعل بك كى تفعل به هذا ؟!

وكيف هان عليك أن تفعله ؟!

كيف هان عليك أن تغرس مطواتك فى لحمه ؟!

أن تذبحه كالشاه ؟!

أن تمزقه وكأنه لحم يؤكل ؟!

كيف ؟

كيف ؟

الله يلعنك .. الله يلعنك ..

واندفعت الفتاة تصب عليه لعنات اللـه وسخطه ، وهى تزداد انهيارًا حتى هوت على الأرض فاقدة الحراك لينفجر البركان فى القاعة منذرًا بكارثة ، لولا مسارعة رجال الأمن باحتواء الموقف بمنتهى الحسم ، ومسارعة المستشار (جلال عبد الباسط) برفع الجلسة .

★ ★ ★

الفصل الثالث

فتح القاضى الوسيم عينيه على نداء ملاكه الصغير الذى يذوب فيه حبًا :

ـ بابا .. بابا .

أضاءت ابتسامته الحلوة وجهه .. إنها حبيبته وروحه التى تسعى على قدمين ، وحيدته (شيماء) .. أخذها فى حضنه مجيبًا :

ـ حبيبة بابا .

ـ فى الصالون سيدة حلوة تسأل عنك .

نهض من فراشه مرتديًا روبه الصوف ، ومضى آخذًا ملاكه الصغير فى يده ، ليفاجأ بآخر ما يمكنه توقعه ..

(ماجى) !!

(ماجى) تجلس مع والده !

تسمرت عيناه عليها فى دهشة وفرحة غمرتاه كالطوفان ، وجعلتا الضيفة الفاتنة تبتسم متسائلة وهى تنهض لملاقاته :

ـ ما رأيك فى هذه المفاجأة يا سيادة المستشار ؟

ولم ينبس المستشار ببنت شفة ..

فقط راح يحلّق على وجهها الفاتن بنظراته المأخوذة بالمفاجأة ، مما جعل والده يتدخل متسائلاً ، وهو ينهض مبتسمًا :

ـ ما هذا يا سيادة المستشار ؟ ألن ترحب بضيفتك ؟

ثم إذا به يلتفت إلى الضيفة الفاتنة ، ليقول لها بشقاوة العواجيز الجميلة :

ـ بإذنك يا جميل ، فلربما يكون وجودى سببًا فى « لخمته » هذه !

واستدار العجوز الطيب ماضيًا إلى غرفته بـ « شيماء » ، فإذا بالضيفة الفاتنة تدنو من القاضى الوسيم الغارق فى دهشته حتى كادت تلتصق به ، ثم راحت للحظة تحلّق على وجهه بعينيها الجريئتين الفاتنتين ، لتسأله بعدها فى خفوت أقرب إلى الهمس :

ـ أتراني حقًّا ضيفتك كما قال بابا ؟ أم أكثر من ذلك ؟

وسكتت غائصة بنظراتها النارية فى عينيه ، مفتشة عن جواب سؤالها .. ثم إذا بها تقول له بخفوتها الأكثر سخونة من نظراتها المغروسة فى عينيه :

ـ أنا جائعة ..

هنا فقط أدركته الكلمات ، فكان جوابه لها ، وهو شبه مخدر :

ـ حالاً سأبدل ثيابى ، ونذهب إلى اقرب فندق .

وإذا بردها مسبوقًا بطقطقة نفى من شفتيها الناريتين :

ـ بل سنأكل هنا ، ومن عمل يدى .

وللمرة الثانية ضربت الدهشة القاضى الوسيم بمنتهى العنف ، ومع ذلك أردفت الضيفة الفاتنة متسائلة ، وهى تنزع عنها معطفها الفرو ، وكأنها لم ترَ شيئًا من دهشته :

ـ أين المطبخ ؟

ولم يستطع الرجل أن يتمالك دهشته أكثر من ذلك :

ـ (ماجى) !

وكـان ردّ الضيفـة الفاتنـة أن سـارعت بوضــع أصبعهــا علــى شفتيه لإسكاته ، ثم لتقول له بلهيب أنوثتها :

ـ خذنى إلى المطبخ .

ولم يملك الرجــل إلاّ أن يقودهــا إلـى المطبـخ كالمسحور .. وإذا ببنت الذوات ربيبة أكبـر وأعرق عـائلات البلد تتحول فـى طرفة عين إلى ربـة منزل من الدرجـة الأولـى .. انطلقت تفتـح الثلاجة ، وتخـرج ما فى جوفهـا مـن لحـوم وخضراوات ، وتبسط الآوانى أمامها ، وتدير الخلاط ، وتشعل البوتجاز ، وتملأ المطبخ حركة .

يا اااااه !!

خمس سنوات كاملـة والمنزل محرومٌ من هذا .. من نَفَس امرأة جميلة ، حتــى غدا كالثكنـة العسكرية .. صحيح أن هنـاك خادمة تأتى ثلاثة أيام فى الأسبوع ، ولكن ذلك لـم يُضـفِ على الشقة أى إحساس بوجود امرأة .. هو فى الأصل لايكاد يراهــا ، فغالبًا ما تــأتى وتنصرف أثنـاء عملـه بالمحكمـة ، ولكـن هـا هـو الحال يتبدّل فى لحظة .. ها هـى الحيـاة الحلـوة تـدب فـى الثكنـة العسكرية الجافة ، فتردها إلى اصلها ..

جنة ، وأرفة ، جميلة ، بهيجة ، يغرد فيهـا طائر الحياة ، وتسـعى فيها امرأة ..

وأية امرأة !

إنها (ماجى) !!

« ماجى الدهشورى » !

الملكة المتوجة علـى عرش الجمـال والأنوثـة فـى عـالم بنـات الذوات ..

ها هى فى بيته !!

فى مطبخه !!

فى خدمته !!

ها هو الحلم الجميل الذى تبخـر ذات يوم بعيـد ، مخلفًا وراءه كابوسًا فظيعًا خانقًا ، يعود حقيقة أجمل وأشهى مـن الحلـم الـذى كان أضعافًا مضاعفة !

معقول هذا ؟!

هكذا راح القاضى العاشق المبهور يتسـاءل فـى نفسـه ، وهـو يلاحق حبيبته الفاتنة بنت الذوات بنظراته وهى تسعى فـى المطبخ

برشاقة مدهشة .. حتى كاد قلبه الظامئ يقفز من بين ضلوعه مرفرفًا ، مغردًا ، مطبقًا عليها بظمئه يريد الارتواء ، بينما العقل الذاهل يتساءل بذهوله يريد الاطمئنان :

حلم هذا أم حقيقة ؟

من يجيبه ؟

مـن ؟

وإذا بالجواب يأتيه من خلفه :

ـ ما هذا النور .

إنه أبوه العجوز الطيب ، وقد غمرته ابتسامة عريضة فاض بها قلبه ، وهو يردف قائلاً بسعادة طاغية ، وعيناه على الفاتنة التى تملأ المطبخ حركة :

ـ والله زمان .

وإذا بـ (شيماء) تتقدم من (ماجى) قائلة لها ببراءتها العصفورية :

ـ ممكن أساعدك يا طنط ؟

فما كان من (ماجى) إلا أنها رفعتها فى حضنها قائلة لها بمنتهى الحنو :

ـ ماما .. قولى ماما ، لا طنط .

وإذا بالطفلة الجميلة الملائكية تعيد سؤالها :

ـ ممكن أساعدك يا ماما ؟

وكان ردُّ (ماجى) ، وهى تنهال عليها بالقبلات :

ـ طبعًا يا حبيبة ماما ..

طبعًا ..

ـ ماذا أفعل يا ماما ؟

ـ تراقبيننى وتتعلمين منى يا حبيبة ماما ..

حلم أم حقيقة ؟!

ما زال القاضى الوسيم واقفًا بباب المطبخ يتأمل ما يجرى أمام عينيه بطوفان ذهوله ، حتى أفاق على صوت بنت الذوات الفاتنة تسأله بشقاوتها الأكثر فتنة وهى تنزل (شيماء) من حضنها :

ـ ماذا يا « جلجل » ؟ هل ستظل متسمرًا فى مكانك هكذا ؟ خذ بابا وشاهدا التليفزيون ، حتى نفرغ أنا و« شوشو » من مهمتنا .

فوجئ الحاج (عبد الباسط) :

ـ التليفزيون ؟!

ودُهشت (ماجى) :

ـ ماذا يا بابا ؟! أليس لديكم تليفزيون ؟

وكان جواب الحاج (عبد الباسط) بدهشته :

ـ لدينا تليفزيون مغلق منذ خمس سنوات .

ازدادت دهشتها :

ـ لماذا ؟

ولم يجد العجوز الطيب ما يجيبها به ، فالتفت إلى ابنه متبادلاً معه نظرة الدهشة ، فإذا بالمرأة الفاتنة تمرق من بينهما ، وهى تتساءل :

ـ أين هو ؟

وإذا بصوت النجم المحبوب (محمود عبد العزيز) مصهلاً بأغنية « يا صحبجية » فى فيلم « الكيت كات » بطريقته التى تفجرّ الضحك من القلب .. وأقبل القاضى وأبوه بذهولهما ، وإذا بعينى السيدة العجيبة تقعان على صندوق شطرنج فى مكتبة التليفزيون ، فتسارع بالتقاطه ، ملتفتة إلى القاضى وأبيه بسؤالها :

ـ من فيكما يلعبه ؟

وإذا برد الحاج (عبد الباسط) بلهفة طفولية :

ـ نحن الاثنان .

أسرعت تضع الصندوق فوق المنضدة الأبانوسية التى تتوسط الأنتريه ، قائلة لهما :

ـ إذن اجلسا والعبا حتى نأتيكما أنا و« شوشو » .

لم يملك العجوز الطيب إلا أن يلتفت إلى ابنه المتسمر فى مكانه يسأله :

ـ ما رأيك يا سيادة المستشار ؟

وإذا بالمرأة هى التى تجيبه :

ـ سيلعب يا بابا .. والفائز منكما سيلاعبنى .. اجلسا !

ولم يملك القاضى إلا أن يجلس بذهوله أمام أبيه حول المنضدة ، لتلتفت (ماجى) إلى (شيماء) قائلة :

ـ هيا معى يا « شوشو » .

وكـــان ردُّ « شـوشـو » ، وهى تضـع يدهـا العصـفورية فى يد (ماجى) :

ـ هيا يا ماما .

ومضت الاثنتـان معًا ، بينمـا القـاضى الوسيم يشيعهما بعينيه الذاهلتين ، حتى انتبه على صوت أبيه يناديه باسمًا :

ـ هيا يا بطل !

وراح يرتب قطع الشطرنج فوق اللوحـة ، مرددًا فى فرحـة غامرة :

ـ والله زمان يا « جلجل » !! والله زمان !!

★ ★ ★

أقل من الساعة وكـان القـاضى الوسيم وأبـوه وطفلتـه وبنت الـذوات الفاتنـة يلتفون حـول مأدبـة العشـاء فـى ألفـة وحميميـة متناهية ..

أسرة متكاملة جميلة ، تغمرها السعادة ..

وبعكس المألوف راحت الضيفة هى التى تحث أصحاب المـنزل علـى استئناف طعامهم كلمـا همـوا بالاكتفـاء ، وكأنهـا سـيدة المنزل .. لحظات بعد العشاء ، وكانت تضع كوب حليب دافئ فـى يد (شيماء) ، بينمـا راح القـاضى وأبوه يتنـاولان الشـاى الـذى أعدتـه لهمـا بيديهـا ، والـذى مـا كـاد يفـرغ منـه الحـاج (عبـد الباسط) ، حتى راح يتثاءب قائلاً :

ـ بهذه الوجبة النووية ما عاد بمقدورى إلا النوم .

وهمَّ بالنهوض ، ولكنه قبل أن ينهض وجد نفسـه ينظر إلـى الضيفة الساحرة بعينين ملؤهما امتنان ، ليقول لها :

ـ شكرًا يا (ماجى) هانم .. لقد أعدتِ إلينا أيامنا الحلوة .

وكان ردُّ (مـاجى) وهـى تـأخذ بيده بين يديهـا قائلـة بحنـان دافق :

ـ لا تنادنى بـ « هانم » هذه مرة أخرى يا بابا « عبده » .. أنا ابنتك .

وإذا بها تميل على يد الرجل ، طابعة عليها قبلة الابنـة ، ليخفق قلب العجوز بشدة ، وهو يسحب يده بسرعة مرددًا :

ـ استغفر الله يا بنتى .

وإذا بـ (ماجى) تحتويه بعينيها قائلة بحنوها :

ـ هيا يا بابا إلى فراشك .. تصبح على خير .

ونهض العجوز ذائب الفؤاد ، والتفت إلى حفيدته قائلاً :

ـ هيا يا « شوشو » .

ووضعت الحفيدة الصغيرة يدها فى يد جدها قائلة :

ـ هيّا يا جدو .

وإذا بالقاضى يستوقفها معاتبًا :

ـ هكذا يا « شوشو » دون أن تقبلينى ؟

فما كان من الطفلة الملائكية إلا أنها اسرعت تلقى بنفسها فى حضنه ، لتبادله قبلته ، قائلة ببراءتها وعذوبتها التى لا تُقاوم :

ـ آسفه يا بابا .. غلبنى النعاس .

وكان ردّ القاضى مداعبًا ، وهو ينقل عينيه بينها وبين (ماجى) :

ـ طبعًا شغل المطبخ ، والعشاء النووى .

وعاد يقبلها :

ـ تصبحين على خير يا حبيبتى .

ـ وحضرتك من أهله يا بابا .

وإذا بـ (ماجى) تدركها بسرعة :

ـ بابا فقط ؟

وكان ردّ الطفلة الجميلة أن أسرعت إليها تقبلها :

ـ تصبحين على خير يا ماما .

ـ وأنت من أهله يا حبيبة ماما .

وعادت الطفلة تضع يدها فى يد جدها ماضية معه ، بينما أبوها وضيفته يشيعانهما بنظراتهما حتى دخلا غرفتهما ، فإذا

بالضيفة الفاتنة تلتفت إلى القاضى الوسيم قائلة له ، وهى تنظر فى (موبايلها) :

ـ الســاعة الآن العــاشرة والربــع .. أمــامك ســاعة كاملة لترينى كيـف ستحتفى بامـرأة جميـلة فى ضـيافتـك يا سيادة المستشـار ..

وكان ردُّ القاضى الوسيم باسمًا ، وهو يقاوم سحرها الطاغى :

ـ ما عادت ضيفة يا سيدتى الجميلة .

ونهض متناولاً (كاسيت) صغيرًا و« سى دى » من مكتبة التليفزيون ، ثم التفت إليها قائلاً فى تبسم :

ـ تعـالى .

ومضى بها إلى البلكون .. أجلسها ، وجلس قبالتها مديرًا (الكاسيت) ، فإذا بـ « ثومة » تصدح برائعتها التـى تذيب القلب « ألف ليلة وليلة » ..

كـان الدفء قد سرى فى الجو بعد ثلاثة أيام مـن صقيـع « طـوبــة » الــذى لا يُحتمــل .. وكــان القمــر يتوسط السماء مكتمـلاً ناصـعًا بهيًا ، تحفّه بضـع نجمــات زهــرية رقيقــة ..

وبالأسفل بدا ميدان « الرماية » الذى يطل عليه البلكون رقيق الإطلالة ، مثيرًا للشاعرية ببراحه وأضوائه ورونقه ..

وتعانق تغريد « ثومة » مع هذا الجمال صانعًا جنة شاعرية ، سرى أريجها فى وجدان (ماجى) ، لتجد نفسها تقول للقاضى الوسيم بخفوتها الداهش :

ـ يا اااااه يا « جلجل » !

معقول ؟!

معقول أنا وأنت فى هذه الجنة بمفردنا ؟!

فى بيت واحد يضمنا ؟!

فى خلوة لا يفصلنا فيها عزول ؟!

معقول ؟!

معقول ؟!

حلم هذا أم حقيقة ؟

أجبنى يا مالك مفتاح الجنة ..

أجبنى !

طمئنى !

نعم طمئنى !

فما أشد حاجتى الآن للاطمئنان إلى أننى لا أحلم !! بـل أعيش حقيقة أحلى واشهى من الحلم .

طمئنى يا مالك القلب !

طمئنى !

وتهاوى كبرياء بنت الذوات العاشقة تحت هـذا السيل الكاسح من الخوف والتوجس .. وراحت تتطلع إلى فـارس قصـة صباها بكل وجد العاشقة التائهة بين الحلم والحقيقة ، ولكن الفـارس لـم يكن أقل منها تيهًا ووجدًا ، انطلقت عيناه تفتش فـى عينيهـا عن مرفئه المفقود .. انطلق يغوص فيهما بتوجسه الضارب بجذوره فى سحيق أعماقه بحثًا عن قاربه ومجدافه اللذين تحطما وغرقـا يومًا ما ..

وطال غوصه ..

وطال بحثه ..

وطال صمته ..

فامتدت يدا بنت الذوات محتضنة يديـه ، وعـادت تناشده فـى شبه توسل :

ـ لا يا حبيبـى .. لا تصمت هكذا .. بل تكلـم .. أجبنـى بشـىء يطمئننى .. أرجوك يا حبيبى أرجوك ..

وكأن توسلها هذا استفزه .. وجد نفسه يجيبها بانفعال ينهشه :

ـ بل أنا المحتاج إلى الاطمئنـان منـك يـا (مـاجى) .. نعم أنـا المحتاج إليه ، لا أنـت .. محتـاج لأن تطمئنينـى بـأن هذه الجنـة التى لاحت مـن بعد سنوات قفـار حقيقـة لا سـراب .. أنـا الأكثر حاجة منك إلى الاطمئنان .. فأنا الذى نُبحت فى بدايتنا البعيـدة .. وتجرّعت عذاب كابـوس كـان يومًا حلمًا يفـوق الـورد جمـالاً .. أنا الذى حطّ بى الغدر يومًا من علٍ ... من رُبَى جنةٍ سكنّاها معًا إلى أودية جهنم ما كانت فى الحسبان .. أنا .

أنا يا (ماجى) ..

أنا الذى هويت فى فراشى يوم زفافك أبكى بكاءً ما بكيتـه يـوم رحيل أمى ..

أنا الـذى سـهرت آلاف الليـالى بيـن أطـلال جنتـى أنعـى نفسـى وقلبى ..

أنا الذى عشت عمرًا أسأل نفسى عما جنيت كى يقذف بى مـن الجنة إلى النار ..

أنـا الـذى أحتـاج جـوابًا .. تفسيرًا .. تبريرًا لظلمِ التهم أحلـى سنين عمرى .. فهل من جواب لديكِ ؟

وسكت الرجل متطلعًا إليها بهدير يهز كيانه كله ..

وسكتت « ثومة » عن الغناء ..

ولم يبق من هدير الليلة سوى زفـرة ساخنة جـاءت مسحوبة من أعماق الرجل كأنها شريط من نار ..

★ ★ ★

الفصل الرابع

وقف المحامى الكبير خلف مكتبه الضخم مرحبًا بزواره الذين ألحّوا فى طلب مقابلته قبل الجلسة بساعات .. ثلاثة رجال أشداء تكسوهم أمارات الهيبة ، وتغمرهم بـالغموض نظـاراتهم السوداء الضخمـة .. بادره أحدهم قائلاً فور جلوسهم :

ـ ما الأخبار يا دكتور « شوقى » ؟

وكان ردّ المحامى فى شبه إحباط :

ـ الحقيقة أن الموقف صعب يا (حازم) بك .. الشـاهدان .. آثـار دماء القتيل فى سيارة (رامى) .. شريحة (موبايل) القتيل التـى ضبطتها المباحث معه .. تقرير الطبيب الشـرعى .. اعتراف (رامـى) نفسه فى محضر البوليس .. كل ذلك جعل موقفـه فـى منتهـى الصعوبة .

وكان تعقيب (حازم) بعد أخذه نفسًا من سيجارته :

ـ إذا كانت القضية صعبة ، فسيادتك أستاذ القانون الجنـائى يا دكتور (شوقى) .

ـ هذا لا يعنى أن ...

ولم يتمها .. فقد قاطعه أحد رفيقى (حازم) فى شبه حزم :

ـ دكتور (شوقى) ! نحن قادمون لك برسالة محددة .

فوجئ الدكتور (شوقى) :

ـ ما هى ؟

ـ مِد فى القضية لأقصى مدى تستطيعه .

ازداد الدكتور دهشة :

ـ عفوًا .. لا أفهم ..

وكان ردُّ الزائر الثالث ، وهو ينهض مع رفيقيه :

ـ ضيّع وقتًا يا دكتور .

واستدار الزوار الثلاثة منصرفين ، تاركين المحامى العجوز غارقًا فى دهشته .

ومضى المحامى إلى الجلسة ، تتردد فى أذنه كلمة الزائر العجيبة « ضيع وقتًا ! »

ونُودى على شاهد الإثبات فى القضية ، فأقبل كهل معمَّم ، ضئيل الجسد ، ثقيل الخطى .. وقف أمام المستشار (جلال عبد الباسط) يجيبه :

ـ (خليل على أبو حجازى) .. ٦٣ سنة .. خفير بشركة النصر للمقاولات .

ـ قل والله العظيم أقول الحق .

ـ والله العظيم أقول الحق .

ـ ماذا رأيت ؟

ـ يا حضرة القاضى .. كنت جالسًا فى مدخل موقع البناء الذى أعمل به ، فى أول طريق الفيوم الصحراوى .. ولأن الجو كان شديد البرودة فى تلك الليلة ، فقد أشعلت بعض بقايا الأخشاب لأستدفئ بها ، وأُعد عليها كوب شاى .. وفجأة ظهرت أنوار سيارة قادمة من بعيد ، خلتها قادمة إلى الموقع ، فلم يكن هناك فى هذه البقعة الخاوية المعتمة سواه ، ولكنى وجدت السيارة تجتازه ، فنهضت أتابعها بعينى ، لأعرف إلى أين تمضى ، فلربما يكون قائدها قد ضل الطريق ، ولكنى فوجئت بالسيارة تتوقف خلف الموقع ، وقائدها ينزل منها ، فتعجبت فى نفسى وتساءلت عما عساه

يفعل فى هذا المكان ، وفى هذا الخلاء ، فقد كان الفجر وشيكًا .. ووجدت نفسى أمضى نحوه فى حذر ، فإذا به يفتح حقيبة السيارة ، ويسحب منها شيئًا بدا ثقيلاً عليه ، ويلقى به خلف السيارة .

وتوقف الشاهد العجوز عن الحديث ليلتقط أنفاسه ، بينما كل العيون المتواجدة فى القاعة معلقة به ، حتى استنطقه المستشار (جلال) :

ـ ثم ماذا يا (خليل) ؟

ـ لا أخفى عليك يا حضرة القاضى عندما رأيته يسحب ذلك الشىء من السيارة ، ويلقى به انقبض قلبى ، وشعرت بالخوف ، ومع ذلك رحت أواصل تقدمى نحوه ، حتى اقتربت منه ، وهو يهم بركوب السيارة ، فأسرعت أناديه : « يا باشا .. يا باشا » ، ولكنه لم يلتفت إلىّ ، وأسرع بالقفز داخل السيارة والانطلاق بها ، فأسرعت أتبين ذلك الشىء الذى ألقى به ، فإذا به قتيل .

وسرت قشعريرة شديدة فى بدن الشاهد العجوز ، أوقفته عن حديثه ، فتريث القاضى عليه قليلاً حتى يهدأ ، ثم عاد يسأله :

ـ وهل تمكنت من رؤية قائد السيارة هذا يا (خليل) ؟

ـ نعم يا حضرة القاضى .

ـ إذن انظر إلى المتهم !

التفت الشاهد إلى المتهم ، فأردف القاضى متسائلاً :

ـ هل هذا المتهم هو قائد السيارة ؟

دقّق الشاهد النظر فى المتهم ، ثم أجاب القاضى :

ـ نعم يا حضرة القاضى .. هو .

حدجة القاضى بنظرة متأنية ، كأنما يريد الاطمئنان إلى جوابه ، ثم التفت إلى الدفاع متسائلاً :

ـ هل يريد الدفاع سؤال الشاهد :

وجاء الرد من الدكتور (شوقى) ، وهو ينهض مغلقًا (روبه) :

ـ نعم يا سيادة الريس .

ـ تفضل .

تقدم الدكتور (شوقى) من الشاهد حتى وقف أمامه ، وراح يتفرّسه بنظرة طويلة نافذة كادت تربكه ، لولا أن المحامى المحنك أسرع يسأله فى شبه مداعبة :

ـ أخبرنى يا (خليل) ! هل تناولت إفطارك وشايك الثقيل ؟

دُهش الحاضرون والشاهد ، ولكنه لم يملك إلا أن يجيبه :

ـ الحمد لله يا أستاذ .

ـ جميل ! إذن فانتبه لى جيدًا يا (خليل) .

ـ تحت أمرك يا أستاذ ..

ـ فى بداية شهادتك ذكرت أنك كنت جالسًا بمدخل موقع البنـاء الذى تحرسه ، ومشعلاً نارًا أمامك للتدفئة .

ـ نعم يا أستاذ .

ـ وذكرت أنك رأيت سيارة قادمة نحو الموقع .

ـ نعم يا أستاذ .

ـ إذن فهذا يعنى أنه كان بمقدور قـائد هـذه السيارة أن يـرى النار المشتعلة والجالس خلفها .

ـ طبعًا يا أستاذ .. مؤكد شاهدها وشاهدنى .

ـ جميل يا (خليل) .. جميل .. ثم ذكرت أن قائد السيارة هـذا توقف خلف الموقع وألقى بشىء ما ، اكتشفت أنت بعد ذلك أنه قتيل .

ـ نعم يا أستاذ ، هذا ما حدث بالفعل .

هنـا التفت المحامى العجوز إلى هيئـة المحكمـة ، هاتفًا فيهـا بصوت جهورى كاد يرج القاعة :

ـ إذن فهذا الكلام من الشاهد يا حضرات المستشارين يعنى أن قائد السيارة ـ والمفروض أنه القاتل ـ كان يحمـل فـى سيارته جثـة ، وأنـه دخل الصحـراء ليتخلّص منهـا ، فـإذا بـه يشـاهد شـخصًا يستدفئ بنار مشتعلة أمامه ، ومع ذلك لايتراجع ، بل يواصل تقدمـه فى اتجاه هذا الشخص ، حتى إن الشاهد نفسه اعـترف فـى شـهادته بأنه ظنه يقصد الموقع .. ثم يتوقف على بعد أمتار قليلة من هـذا الشخص الجالس خلف النار ، ثم ينزل من سيارته ، ويسحب الجثـة من حقيبتها ، ويلقى بها .. كل ذلك دون أدنى مبالاة بوجـود هـذا الشخص ، ودون أدنى تفكير فى الابتعاد عنه .

هنا هب وكيل النيابة الشاب واقفًا ، هاتفًا :

ـ شىء طبيعى يا حضـرات المستشـارين أن يكون القـاتل فـى هذه الظروف مرتبكًا ، فتفوته رؤية بعض ما أمامه .

وكان ردُّ الدكتور (شوقى) بمنتهى الهدوء :

ـ ونحن سنسلم مع النيابة بهذا التحليل يا حضرات المستشارين .

ثم عاود الالتفات إلى الشاهد ، مواصلاً تفنيد شهادته :

ـ ذكرت أيضًا فـى شـهادتك يـا (خليل) أنـه بعد أن فرّ قائد السيارة بسيارته ، التفت لتتبين ذلك الشـىء الـذى ألقـى بـه ، فاكتشفت أنه جثة قتيل .

ـ نعم يا أستاذ ، فعلت ذلك .

ـ وقبلها ذكرت أنك شاهدته وهو يفتح حقيبة السيارة ، ويسحب منها هذا الشىء ، ويلقى به خلف السيارة .

ـ نعم يا أستاذ .

ـ إذن فهذا يعنى أنك كنت قادمًا من خلف السيارة .

ـ نعم يا أستاذ .

ـ إذن فمن المنطقى هنـا يـا رجـل أن تـرى ذلـك الشـىء الـذى ألقى به وتتبينه قبل أن يفر هو بسيارته لا بعدها .

ارتبك الشاهد ، وهـم بـأن يجيب المحـامى بشـىء مـا ، ولكن وكيل النيابة كان أسرع منه :

ـ شىء طبيعى أيضًا يا حضرات المستشارين أن توتر الشـاهد وخوفه فى هذه اللحظات جعلاه يهتم أولاً بقائد السيارة الذى يهم بالفرار .. فالشىء باق فى مكانه ، والفرصة قائمة لتبينه ، بينمـا قائد السيارة سيلوذ بالفرار .

وإذا بتساؤل المحامى بمنتهى السخرية :

ـ توتر الشاهد هذا منعه من رؤية الجثة أولاً ، ولم يمنعه مـن رؤية وجه قائد السيارة بهذا التركيز الذى مكّنه مـن حفظ شكله حتى تم القبض عليه ؟!

ولـم يملـك وكيل النيابـة ردًا ، فـالتفت المحـامى بانفعالـه مـرة أخرى إلى الشاهد :

ـ أخبرنى يا رجل .. ماذا كان لون السيارة هذه التى شاهدتها ؟

أطرق الشاهد مرددًا ، وهو يعتصر ذاكرته :

ـ زيتى .. أسود ..

ثم رفع وجهه إلى المحامى :

ـ لونها كان غامقًا يا أستاذ .

أطرق المحامى مرددًا بصوت مرتفع :

ـ زيتى .. أسود .. غامق !

ثم رفع وجهه إلى هيئة المحكمة قائلاً فى تعجب :

ـ مرة أخرى يا حضرات المستشـارين ، الشـاهد غير متحقق من لون السيارة ، ومع ذلك متحقق من وجه قائدها الأقـل حجمًـا ووضوحًا !

وكان ردُّ وكيل النيابة بانفعاله :

ـ المكان ـ كما ورد على لسان الشاهد يا حضرات المستشارين ـ كان معتمًا ، أى كان يصعب التمييز فيه بين الألوان .

وكان ردُّ المحامى بمنتهى القوة :

ـ إذا كان الأمر كذلك فلماذا اختار الشـاهد لونـى الزيتـى والأسود دون غيرهما ؟

وكان ردُّ وكيل النيابة متعجبًا :

ـ يا حضرات المستشارين ! النيابة لا تدرى فيما يحاول الدفاع فى قضـية توافرت فيهـا حزمة مـن الأدلـة ، وبها شاهد إثبـات ، واعترف فيها القاتل نفسه فى محضر البوليس بارتكاب جريمته .

وكان ردُّ المحامى العجوز بمنتهى البساطة :

ـ فلنفند معًا ما عددته الزميلة النيابة يا حضرات المستشـارين ، أما عمًا وصفها السيد وكيل النيابة بأنها حزمـة أدلـة ، فإنها لا تزيد فى مجملها عن مجموعة ملابسات ، لم ترقَ واحدة منها إلى مستوى الدليل ..

وأما عن شاهد الإثبات ، فها هى شهادته أمـامكم يـا حضـرات المستشـارين ، أشبه برقعة قمـاش ، المثقـوب فيهـا أكـثر مـن الموصول .

ولم يحتمل وكيل النيابة أكثر من هذا ، أسرع يقاطعه بانفعال :

ـ هذا عن الأدلة والشاهد .. فماذا عن اعترافات المتهم نفسـه فى محضر البوليس ؟

هنا انفلتت ابتسامة سخرية من المحامى العجوز ، نظر بعدهـا إلى وكيل النيابة متسائلاً بمنتهى السخريةَ :

ـ أو لا يدرى السيد وكيل النيابة كيف تُؤخذ الاعترافات فى أقسام البوليس ؟

وإذا برد وكيل النيابة بسخرية أشد وطأة :

ـ إذا كان الدفاع يلمّح إلى تعرّض المتهم للضغط أو التعذيب فى قسم البوليس ، فإننى أجيبه بلغته بأن متهمنا اليوم ليس من الصنف الذى يُمس فى أقسام البوليس ، بل يُعامل كنزيل فندق .

ولم يجد المستشار (جلال عبد الباسط) ، مفرًا من التدخل ، موجهًا حديثه للدفاع :

ـ هل فرغ الدفاع من سؤال الشاهد ؟

وكان ردُّ الدكتور (شوقى) :

ـ بعد إذن المحكمة ... سؤال واحد فقط .

ـ تفضل .

التفت المحامى إلى الشاهد :

ـ أخبرنى يا (خليل) .. لماذا لم تحاول استخدام سلاحك مع قائد السيارة إياه ؟

وكان ردُّ (خليل) ببساطة :

ـ لأننى لا أحمل سلاحًا من الأصل يا أستاذ .

دهش المحامى :

ـ لا تحمل سلاحًا ؟!

ـ نعم يا أستاذ .

ـ خفير فى موقع فى الصحراء ، ولا تحمل سلاحًا ؟!

ولم يملك المحامى إلا أن يزم شفتيه تعجبًا ، فعاد المستشار (جلال عبد الباسط) يسأله :

ـ أما زالت هناك أسئلة أخرى من الدفاع للشاهد ؟

وكان ردُّ المحامى :

ـ بل لنا مطلب واحد يا حضرة الرئيس من هيئة المحكمة الموقرة ، وهو إحالة هذا الشاهد إلى الطب الشرعى لتحديد مدى سلامة بصره .

وانتفض وكيل النيابة هاتفًا :

ـ عفوًا لهيئة المحكمة ، فما هذا المطلب من الدفاع إلا محاولة لتضييع الوقت .

وكان ردُّ المحامى على الفور :

ـ لا يا حضرات المستشارين .. بل هو لعدم اطمئناننا حقًا لسلامة نظر هذا الشاهد .

انفلت تساؤل وكيل النيابة مشحونًا بالسخرية :

ـ وهل هناك خفير ضعيف النظر ؟!

وكان ردُّ المحامى بسخرية أشد :

ـ وهل هناك خفير بلا سلاح ؟!

والتفت المحامى إلى هيئة المحكمة قائلاً :

ـ يا حضرات المستشارين نعتقد أن هيئة المحكمة الموقرة أكثر حاجة منّا إلى الاطمئنان لسلامة نظر الشاهد التى تقوم عليها شهادته .

وسكت المحامى متطلعًا إلى جواب هيئة المحكمة .. وساد الصمت المطبق للحظة ، تداول فيها المستشار (جلال عبد الباسط) المشورة مع زميليه ، ثم راح يتلو قراره :

ـ يُحول الشاهد إلى الطب الشرعى لتحديد مدى سلامة بصره .. رُفعت الجلسة ..

ونهضت هيئة المحكمة مغادرة القاعة ، فإذا بالهرج والمرج يدبّان فيها ، وإذا بالصحفيين يُهرعون إلى (رامى) فى القفص ، يسبقهم أصدقاؤه منادين عليه ، فإذا به يجيبهم هاتفًا بمنتهى الحزن ، والحراس يسحبونه :

ـ ماما لم تأت .. الهانم لم تأتِ لابنها الذى سيُعدم .

* * *

الفصل الخامس

رن (موبايل) المستشار (جـلال عبـد الباسـط) ، ومـا إن وضعه على أذنه ، حتى هتف بمنتهى الجزع :

ـ ماذا بها ؟

ثم أردف بجزعه :

ـ أنا قادم حالاً .

وإذا به ينطلق جريًا من استراحة القضاة فـى المحكمـة ، حتـى إنه لم يسمع نداءات صديقيه القاضيين اللذين كانا يجالسانه ، فما كان منهما إلا أنهما انطلقا فـى أثره ، لينطلقـوا ثلاثتهـم معًا فـى سيارة المستشـار (جـلال) قـاصدين منزلـه .. ومـا هـى إلا ربـع الساعة ، حتى كانوا ثلاثتهم يقتحمون غرفة (شيماء) ، تسـبقهم نداءات المستشار بقلبه المخلوع فزعًا :

ـ (شيماء) ! (شيماء) !

كانت الطفلة ممددة فى فراشها ، مغمضة العينين ، ينبعث منهـا أنين خافت واهن كـأنين الاحتضـار ، بينمـا كـان وجهها محتقنًا مصبوغًا بزرقة مفزعة ، وما إن لمسها حتى فوجئ بها شديدة السخونة ، وكأنها تُشوى ، لتنفلت منه هتفته الفزعة فى جدها الجالس إلى جوارها يحدّق فيها ، وهو يرتجف فزعًا :

ـ منذ متى وهى بهذه الحال ؟

وأجابه الجد مرتعدًا :

ـ من ساعتين أو أكثر .

ـ ولماذا لم تتصل بى فى لحظتها ؟

ـ حاولت كثيرًا يا بنى ، ولكننى وجدت تليفونك مغلقًا ، فأدركت أنك فى جلسة .

ـ الله يقطع الجلسة ومن فيها .

وأسرع يطلب رقمًا فى (موبايله) ، ويهتف فى محدثه :

ـ دكتـور (عصـام) ! أنا المستشار (جلال عبد الباسط) .. أدركنى ! البنت تموت .

وأغلق التليفون ، وأسرع مغادرًا الغرفة ، لـيرتد فى لمح البصر بكيس الكمـادات محشـوًا بـالثلج ، أسرع بوضعه على رأسها ، وهو يجلس إلى جوارها ، محدقًا فيها بفزع يكاد يفجّر قلبه .. أمها مـاتت فجـأة فى حُمى لعينـة كهذه ، وبنفس السيناريو الخاطف .. وجد نفسه يصرخ فى أعماقه «يا الله ! أنت أرحم من هذا » .. وطفحت صرختَه من عينيه ، وهـو يحدّق بخاطره المفزع فى أبيه وصديقيه الواقفين ، فأسرع المستشـار (خالد الصاوى) يحاول طمأنته :

ـ إن شاء الله سليمة يا (جلال) بك .. إن شاء الله سليمة .

وكذلك أسرع يفعل المستشار (حسين زيتونة) :

ـ مؤكد وعكة بسيطة ، وستنهض منها بالسلامة إن شاء الله يا (جلال) بك .

ورن (موبايل) الأب الملتاع ، فأسرع يجيب ظنًا منه أنه الطبيب ، فإذا بها (ماجى) .. انفلتت منه هتفته الفزعة :

ـ (شيماء) تموت يا (ماجى) .. (شيماء) تموت .

وألقى بالتليفون جانبًا ، ملبيًا نداء الطفلة المغمضة العينين :

ـ بابا .. بابا .

ولكنه ما كان نداء ، بل هذيانًا دفع بفزع الأب الملتاع إلى ذروته ، فهمّ بمعاودة الاتصال بالطبيب مرة أخرى ليتعجّله ، فإذا بجرس الباب يدق .. انطلق يفتحه ليدخل الطبيب .. لحظات وكان الأخير يفرغ من فحص الطفلة ، ليلتفت إلى ابيها قائلاً :

ـ حُمّى يا (جلال) بك !

وانفلت سؤال الأب بذهوله الجنونى :

ـ ستموت ؟!

وكان ردّ الطبيب فى دهشة ، وهو يمسك بحقنة دواء أعدها :

ـ الأعمار بيد الله يا (جلال) بك ، ولا علاقة لها بالمرض !

ثم أردف فى حنو :

ـ أمسك بها من فضلك !

وحقنها الطبيب ، ليدوّى صراخها ، فأسرع أبوها يضمها فى حضنه ، مرددًا وقلبه يتمزق عليها ..

ـ ألف سلامة يا حبيبة بابا .. الف سلامة ..

وجلس الطبيب يحرر روشتة الدواء ، ثم نهض يناولها للمستشار (جلال) قائلاً :

ـ طبعًا يا (جلال) بك هى محتاجة لأحد يلازمها ، والالتزام التام بالعلاج ، وسوف أعود بعد خمسة أيام لأطمئن عليها ، وإن شاء الله ستكون تحسنت .

وحمل الطبيب حقيبته ، مستأذنًا الجميع فى الانصراف ، واستدار منصرفًا يصحبه المستشار (جلال) ، حيث منحه أتعابه ، ثم رافقه حتى باب الشقة .. ودعه شاكرًا ، وهمّ بأن يعاود غلق الباب ، فإذا بـ (ماجى) مقبلة جريًا ، وتسرع بسؤاله بمنتهى الجزع :

ـ ماذا حدث ؟

أسرع يدخلها :

ـ تفضلى .. تفضلى ..

وأغلـق البـاب ، وأسـرع يضغـط (الإنـتركوم) المجـاور لــه مستدعيًا البـواب كى يأتى بالـدواء مـن الصيدلية ، ثم انطلق مع (ماجى) إلى الغرفـة ، لتقفـز هى فـوق الفراش ، منادية الطفلـة وهى تضمها بين يديها :

ـ « شـوشـو » حبيبتى ! « شـوشـو » ! أنـا ماما (ماجى) يا حبيبتى .. أنا ماما (ماجى) .

ولكن الطفلـة كانت قد راحت تمامًا فـى النـوم ، ممـا جعـل المستشار (حسين زيتونة) يجيبها قائلاً :

ـ يبدو يا هانم أنها نامت بتأثير دواء الحقنة .

التفتت إليه (ماجى) بهلعها ، فأسرع المستشـار (جـلال) يقوم بالتعارف بينها وبين صديقيه القاضيين ، ثم دعا الجميع لمرافقته إلى الصالون ، فإذا بـ (ماجى) تجيبه :

ـ بل تفضلوا حضراتكم أنتم ، واتركونى أنا هنا معها .

وكان رد المستشار (جلال) فى امتنان حزين :

ـ شكرًا لك يا (ماجى) هانم ..

تفضلى حضرتك لتتناولى الشاى معنا قبل أن تنصرفى ، فالسـاعة الآن تجاوزت العاشرة ليلاً ..

وإذا برد السيدة :

ـ أنا لن انصرف يا (جلال) بك .

فوجئ القاضى ، وأسرع يتبادل نظـرة دهشة مع أبيه ، ثم عاد يسألها بدهشته ..

ـ ماذا تعنين يا (ماجى) هانم ؟

وإذا برد الهانم :

ـ أعنى ما قلته يا (جلال) بك .. لن انصرف من هنا قبـل أن تسترد (شيماء) عافيتها .

ضربت الدهشة القاضى :

ـ ولكن هذا سيستغرق أيامًا يا (ماجى) هانم .

ـ ولو يا (جلال) بك .. لن أتركها . فكان جوابه الصمت ..

وكأن على رأس (جلال) بك الطير..

★ ★ ★

الفصل السادس

منذ وفاة زوجته لم تأتِ على المستشار (جلال) أيام كريهــة ، ولا ليالى مريرة كهذه .. ففكرة أن طائر الموت راق له أن يحـوم حول وحيدته الصغيرة ، جعلتـه يتنفس فزعًا وتشاؤمًا .. وأول ليلة لها فى مرضها قضاها جالسًا فى الصالـة ، يشـعل السيجارة من السيجارة، ولولا وجود (ماجى) معها فى الغرفة لقضاها بجوارها فى الفراش .. لم يفلح إلحاح أبيه عليه ، ولا توسلات (ماجى) له بأن يخلد إلى النوم ، كى يستطيع أن يذهب إلى عملـه صباحًا .. وبالفعل طلع عليه النهار ، وهو على جلسته بالصالة .. ولم يكن أمامه مفر من الذهاب إلى عمله ، فذهب .. ولكنــه لم يدرِ كيف مرَّ عليـه اليوم .. ولا مـاذا فعل أو قـال حتـى خـرجَ مـنَ بـاب المحكمة ، فإذا به يقذف بنفسه داخل سيارته ، منطلقًا بها صوب البيت بلهفة تكاد توقف قلبه .. ولتُفاجأ به (مـاجى) يمرق من باب الشقة كالسهم بمجرد أن فتحته له ، يسبقه سؤاله المشحون بلهفته العاتية :

ـ كيف حالها الآن ؟ كيفها ؟

ولحقت به (ماجى) وهو يضمهـا فـى حضنـه ، وكأنـه يضم قلبه الذى كان خارج ضلوعه ، يناديها :

ـ « شوشو » حبيبة بابا كيفك الآن ؟ كيفك ؟

وجاءه الرد من جدها الجالس إلى جوارها فى الفراش :

ـ أحسن .. أحسن كثيرًا .

ـ أهى نائمة ؟

وجاءه الجواب من (ماجى) التى كانت قد جلست إلى جوارهم على حافة الفراش :

ـ أكلت وتناولت الدواء ، ونامت .

ـ ماذا أكلت ؟

أجابه أبوه :

ـ (ماجى) هانم طهت لهـا خضـار سوتيه ، وسلقت فرخـة وأطعمتَها منهما .

أعاد القاضى توسيد طفلته فى رفـق ، ثـم التفت إلـى السيدة ، متطلعًا إليها بامتنان طاغ :

ـ شكرًا يا (ماجى) .

وإذا بأبيه يتدخل قائلاً وهو أيضًا يتطلّع إلى السيدة بامتنان :

ـ على فكرة يا (جلال) يا بنى ... الهانم لم تنم حتى الآن .

التفت القاضى إلى السيدة مندهشًا ، فإذا بوجهها شاحبٌ حقًّا من آثار السهر ، فانفلت سؤاله محملاً بدهشته :

ـ كيف ؟

وكان رد (ماجى) باسمة :

ـ وكيف كنت أتركها بمفردها يا سيادة المستشار ؟

وكان القاضى يحتضنها امتنانًا :

ـ هأنا عدت يا (ماجى) ، فانهضى أنت إلى الغرفةِ الأخرى ، ونامى .

همَّت السيدة بأن تجيبه بشىء ، ولكنه أسرع يقاطعها :

ـ لأجل خاطرى يا (ماجى) لأجل خاطرى ..

وإذا بالحاج (عبد الباسط) هو الآخر يكرر عليها نفس الرجاء :

ـ ولأجل خاطرى أنا أيضًا يا (ماجى) هانم .

وجدت السيدة نفسها تتأمله بنظرة طويلة وابتسامة حانية ، ثم تجيبه قائلة :

ـ أمرك يا بابا (عبده) .. سأفعل ، ولكن بشرط .

أسرع الرجل يقول :

ـ اؤمرينى يا هانم .

ـ أن تكف عن كلمة « هانم » هذه .

فوجئ العجوز الطيب ، وأسرع يتبادل نظرة دهشة مع ابنه ، عاد بعدها إلى السيدة ببصره ، فإذا بها فى انتظار جوابه بابتسامتها الحلوة ، فلم يملك إلا أن يجيبها قائلاً :

ـ أمرك يا .... حبيبتى .

وإذا بهتفة السيدة بفرحة رصينة :

ـ الله ... أحلَى كلمة « حبيبتى » سمعتها فى حياتى .

وإذا بها تميل على خد الرجل بقبلة رقيقة ، ثم تنهض مغادرة الغرفة ، تاركة الرجلين غارقين فى بحر هائج من الدهشة !!

★ ★ ★

ستة أيام لا أكثر ، وكانت (شيماء) تجلس فى فراشها ، تداعب أباها وجدها و(ماجى) الجميلة النبيلة .. فرحة الدنيا كلها انبثقت فى قلب بابا (جلال) ، ووحيدته الصغيرة تقفز فى حضنه ، لتداعبه بمنتهى الشقاوة ، بينما بابا (جلال) يعتصرها فى صدره ، ويغمرها بقبلاته ، وكأنها كانت فى رحلة مخيفة مفقود الأمل فى العودة منها .. وطال عناقهما وتبادل قبلاتهما ، حتى هتف فيهما الجد بفرحته الطاغية :

ـ وأنا .. أنا .. أين نصيبى ؟

وقفزت الطفلة الملائكية فى حضن جدها ، ليغمرها هو أيضًا بقبلاته ، حتى أفاقتهما (ماجى) بتساؤلها فى تبسم :

ـ وأنا أليس لى نصيب فى هذا ؟

فما كان من الجد إلا أنه أسرع بوضع الطفلة فى حضنها ، وهو يقول لها من قلبه :

ـ بل لك كل الشكر يا أصيلة ، يا بنت الأصول .

وكان ردّ السيدة مداعبة ، وهى تضم الطفلة فى صدرها ، وتقبلها :

ـ الشكر فقط يا بابا (عبده) ؟

فإذا برد العجوز ، وهو يلتفت إلى ابنه مبتسمًا :

ـ الشكر منى ، أما الباقى فلدى ناس آخرين .

وإذا به يأخذ الطفلة منها قائلاً :

ـ تعالى يا « شوشو » لأخبرك بسر فى غرفتى .

ومضى بالطفلة فى حضنه ، لتجد بنت الذوات الفاتنة نفسها مع القاضى الوسيم بمفردهما فى الغرفة ، وقد راح يحلّق على وجهها بنظراته التى تفصح بكل ما جاش به قلبه ، فلم تملك إلا الابتسام ، قائلة له بخفوت رصين مثير مثل نظراتها :

ـ أخبرنى بابا (عبده) بأنه لديك لى أشياء أخرى غير الشكر .

ودون أن تتوقف عيناه عن التحليق على وجهها أجابها :

ـ لدى مطلب واحد فقط .

وكان ردها برصانتها التى لا تغادرها ، وبتبسمها :

ـ اؤمرنى يا جميل .

ـ تنامين ساعتين ، كى يمكنك تناول عشاءك معى .

وكان سؤالها وهى تدغدغه بنظراتها وابتسامتها :

ـ هنا ؟

ـ فى الـ « فور سيزون » .

انفلتت منها زومة إعجاب ، أعقبتها بجوابها :

ـ أمرك يا باشا .

واستدارت منصرفة إلى غرفة نوم الضيوف التى صارت غرفتها ، بينما هو يشيعها بنظراته المشبعة بالاطمئنان والامتنان والإجلال ..

نعم .. ها هو الاطمئنان لها يشيع فى قلبه طاردًا منه رواسب الماضى الأليم ..

ها هما الامتنان والإجلال يحلان محل النقمة والارتياب فى قلبه ..

ها هو يرى فيها المرأة النبيلة الصادقة الملاصقة له فى محنتـه ، لا الانتهازية المخادعة التى جرّعته يومًا كأس الغدر بدون مقدمات ..

وقف مكانه يشيعها بنظراته المشبعة باطمئنانه وامتنانـه ، حتـى خرجت من الغرفة ، فمضى إلى أبيه وابنتـه ، يستأذنهما فى أن يـأخذ هو أيضًا قسطًا من النوم ، ومضى إلى غرفته .. ساعتان تقريبًـا وكان يستيقظ على نغمة منبه (موبايله) المستقر بجواره علـى الكومودينو .. احساس جميل بالانشـراح والانتعـاش غمـره وهـو يغادر الفراش .. مضى إلى الحمّام ، ليخرج منه بعد دقـائق أكثر انتعاشًا .. علم من أبيه أن (ماجى) مـا زالـت نائمـة ، فأسـتأذنه فى أن يوقظها هو أو (شيماء) ، فكان ردُ العجـوز الطيب بخفـة ظل متناهية ، وهو يهز رأسه رفضًا :

ـ لا أنا ، ولا (شيماء) .. إنها ضيفتك أنت يا سيادة المستشار .

وجد نفسه يمضى إليها مرغمًا .. فتح غرفتهـا بمنتهـى الهدوء ، وبنفس الهدوء راح يتقدم منها فى الفراش .. كانت تغط فى نومهـا ، فلم تشعر به وهو يقف أمامها ، محدقًا فيهـا بطوفـان من مشاعر لا يعرف له وصفًا ..

مبهورًا ! لا يدرى ..

مذهولاً ! لا يدرى .

غير مصدق ! لا يدرى .

وله الحق فى كل هذا ..

فلم تكن هذه التى تغط فى نومها أمامه سوى مزيج من الملائكيـة الخالصة والفتنة المتأججة !

ولم تكن هذه التى تغط فى نومها داخل إحدى غرف شقته ، وفى فراش يخصه سوى (ماجى) !!

نعم (ماجى) !!

حبيبة القلب التى ما كان يحلم حتى برؤيتها فى شارع من بعـد هجرتها إلى آخر الأرض !

حبيبة القلب التى انتزعتها الأقدار يومًا من بين يديه ، لتقذف بها فى آخر الأرض ، جاعلة منها حلمًا مستحيلاً !

ها هى فى بيته !!

داخل إحدى غرفه !!

وفى فراش يخصّه ، وهو معها ..

وحدهمـا !

معقول ؟!

حلم هذا أم حقيقة ؟!

حلم أم حقيقة ؟!

وجد نفسـه يجلس بجوارهـا على حافـة الفـراش ، ويمـد يـده متحسسًا شعرها .. وجهها .. ملامحها ، ليطمئن نفسه بأنها حقيقة ..

وفتحت الحبيبة عينيها .. فتحتهما على جلسته بجوارها ، وسريان أصابعه على وجهها ، ونظراته الهادرة بطوفان مشاعره .. وقبل أن تفيق من دهشتها كان قد أكمل عليها بهمسته التى جاءت من أعمق أعماق قلبه :

ـ أحبك ..

أحبك ..

أحبك ..

ولم تملك الحبيبة الفاتنة إلا أن تغمض عينيها كما كانتا ، فقد كان كل ما فيها استحال ذوبًا خالصًا ..

★ ★ ★

الفصل السابع

انطلق المستشار (جلال) بحبيبته الفاتنة إلى الـ « فورسيزون » ، وعلى أنغام الباند الناعمة راح الحبيبان يتناولان عشاءهما ، ثم راحا يحتسيان مشروبيهما ، ولكن (ماجى) ما لبثت أن نهضت فجأة ، قائلة له :

ـ لحظة يا حبيبى .

وإذا بها تمضى إلى قائد فريق الباند ، وتسر إليه ببضع كلمات ، أسرع على أثرها بتغيير موسيقاه إلى موسيقى أغنية « حليم » « أنا لك على طول » ، بينما استدارت هى مرتدة إلى حبيبها ، ماضية به إلى (البست) ، وواضعة نفسها فى حضنه بادئة رقصتهما بهمستها المسحوبة من قلبها :

ـ أنا لك على طول خليك لىَّ .

وذاب قلب القاضى العاشق ..

وذاب وجدانه ..

وذاب كل كيانه .

ووجد نفسه يضغطها فى صدره ، وكأنه يريد أن يحشرها داخل ضلوعه .. آه لو أستطاع أن يفعل .. لجعل مأواها الأبدى بين الضلوع .

ها هو يوقن كل اليقين ، بأنه لا حياة له بدونها ..

ها هو يقبض عليها فى حضنه ، وكأنه يقبض على الحياة ذاتها ..

وشعرت هى به .. بحاجته إلى المزيد من الاطمئنـان .. ومزيد أكثر من السقاء ، فكانت همستها له :

ـ خذنى من هنا .. خذنى بعيدًا عن العيون .

أسرع يمضـى بهـا ، وبينمـا همـا فـى طريقهمـا إلـى بـاب الرستوران ، إذا بعينين تحدقان فى (مـاجى) بمنتهـى التركيز ، وإذا بصاحبتهما تتساءل بمنتهى الدهشة :

ـ أليست هذه (ماجى) هانم ؟!

ولم تكن صاحبة السـؤال سـوى (نرمين) صديقة (رامى) ، والتى كانت تجالس خطيبها وصديقهما المشترك ، والـذى التفت بدوره إلى حيث تنظر خطيبته ، ليُصاب هو أيضًا بنفس الدهشـة ، ولينفلت منه تساؤله :

ـ وأليس هـذا الـذى معها هو القـاضى الـذى ينظـر قضـية (رامى) ؟!

وكان ردُّ (نرمين) :

ـ نعم هو .

ثم أردفت بدهشتها الطاغية :

ـ أنا لا أفهم شيئًا .

وأجابها خطيبها بنفس الدهشة :

ـ ولا أنا !

★ ★ ★

وعـاد المستشـار (جـلال) إلـى منزلـه بمفـرده .. فبشـفاء (شيماء) انتهت مهمة (ماجى) التى تطوّعت بهـا ، وعـادت إلى منزلها .. لم يشعر بأثر ذلك إلا حينمـا دخل الشقة .. كـان الحاج (عبد العزيز) و(شيماء) نائمين .. وكانت الشقة مظلمة إلا مـن نور خافت بالصالة ، وكانت غارقة فى سكون بارد ..

يااااه ! ما هذه الوحشة ؟!

وقف وسط الصالة يدير عينيه على الجدران وكأنـه يعاتبها على استقبالها البارد ، فإذا بهـا وكـأنها هى التى تعاتبـه على عودته بدون الحبيبة .. لقد تعودوها ، ائتلفوها ، أحبوها بعدما ردت فيهم الإحساس بالحياة .. وهو نفسه لا يمكنه إنكار ذلك ، فقد ظل لأكثر مـن خمس سنوات يراها جدرانًا صماء خرساء لا حياة فيها ، حتى جاءتها الحبيبة الجميلة بالحياة .. كل الحيـاة .. وجد نفسه يخطو نحو غرفتها .. يفتح بابها .. يتقدم خافق القلب من الفراش الذى ضمها لسبع ليالٍ .. جلـس على حافتـه يتحسسـه ، ويسرى عليه بنظراته المثقَلة بخفقـات قلبـه .. توقفت يده على البيجامة التى كانت ترتديها ، فسكنت نظراته هى الأخرى عليها ، كأنها تسألها عن حالها فـى فراق صاحبتهـا .. فجـأة انتبـه على صوت أبيه يسأله مشفقًا :

ـ ولماذا نعذّب أنفسنا والماء فى أيدينا ؟

التفت إليه بعينين تكاد تبكيهما ضراوة الوجد ، فلـم يملـك الأب إلا أن يعيد سؤاله ، وهو يجلس إلى جواره على حافة الفراش :

ـ لماذا وأنت تحبها كل هذا الحب وهى أيضًا تحبك ؟

وبمرارة تجربته القديمة معها انساب سؤاله :

ـ وما أدراك أنها تحبنى ؟

وبابتسامة مشفقة أجابه أبوه :

ـ سؤال لا يليق بقاض ، بصيرته فوق بصيرة الناس .

ـ ألأنها فعلت ما فعلت مع (شيماء) ؟

ـ بل فعلته معكَ أنت ياحضرة القاضى .

ـ ألأنها فعلت ذلك معى ؟

ـ بل لأن ما فعلتـــه كـــان يفـــوح برائحـة الحـب ، لا رائحة الواجـب .

ـ قد تكون محقًا يا بابا ، ولكن ..

ولكن ماذا يا حضرة القاضى ؟

ـ ولكن لا تنس الفصل القديم من الرواية .

ـ آه ..

وأطرق الأب زامًا شفتيه زمة استنكار ، رفع بعدها عينيه مرة أخرى إلى ابنه قائلاً :

ـ يا بنى إذا كان هذا الفصل جهلاً منها ، فمن الحمق ألا تتجاوزه ، وإذا كان ذنبًا فمن الظلم ألا تغفره .

ورنّت النصيحة فى عقل القاضى ، ومع ذلك همَّ بأن يعلق بشىء ، ولكن الأب أسرع يتم له نصيحته :

ـ وأنت الآن قاضٍ ، لا يليق بك الظلم ولا الحمق .

ومرة أخرى همَّ القاضى بأن يعلّق بشىء ، ومرة أخرى سبقه أبوه :

ـ لا تجادل يا حضرة القاضى ، فما عاد هناك وقت حتى للجدل .. هيّا أدركا حبكما من عجلة الزمن قبل أن تدهسه مرة أخرى .

هيّا .

★ ★ ★

الفصل الثامن

خفق قلبها بذوب الحنين ، وهى تسأله بخفوتها الداهش :

ـ لماذا جئت بنا إلى هنا ؟!

كانا يسيران متأبطين بعضهما فى طرقات جامعة القاهرة ، وقد خلت عليهما تمامًا ، فقد كانت الساعة قد جاوزت التاسعة ليلاً ، ولم يكن هناك ثمة اثر لبشر أو حركة أو صوت ، فقط سكون حالم يرفل فى النور الأبيض الشاهى المنسكب من أعمدة الإنارة فوق الطرقات المرصوفة السمراء ، وحدائقها المنمقة الرقيقة ، جاعلين من الجامعة العريقة مدينة ناعمة رومانسية حالمة ترفل فى وداعتها ورقتها ، ثم إذا بالمدينة الساكنة تبدو وكأنها فوجئت بهذين العاشقين ، وبريحهما الذى هو ليس غريبًا عليها .. وخُيّل للطرقات وللحدائق ولأبنية الكليات العتيقة أنهم يعرفون هذين العاشقين من قبل ..

ريحهما ليس غريبًا !

ولا مشيتهما هذه ..

ولا أنفاسهما ..

ولا ملامحهما ..

فمن يكونان ؟

آه ..

إنهما (ماجى) و« جلجل » ..

أجمل وأبهى وألذ حبيبين شاهدتهما الجامعة منذ ما يزيد على العشرين عامًا ..

يا لعودهما الجميل مثلهما !!

أكثر من عشرين عامًا مضت على غيابهما .. وأبدًا لم تنسهما ..

أوطان هوانا أكثر وفاءً منّا ... ننساها وأبدًا لا تنسانا ..

بل تظل تهفو إلى عودٍ جميل منا ، مهما طال بها الأمد .

وها هما العاشقان الجميلان قد عادا إلى منبت حبهما الأول .

ها هما (ماجى) و« جلجل » الجميلان يردهما إلى هنا شىء ما .. تُرى ما هو ؟

وعادت الحبيبة الجميلة تسأل حبيبها بخفوتها المضطرب بخفوق قلبها :

ـ حبيبى لماذا جئت بنا إلى هنا ؟

وتوقف بها « جلجل » على سلم كليتهما الحبيبة ، فاتحًا أحضان عينيه لها ، وهامسًا بالجواب :

ـ كى نبدأ من جديد يا حبيبة العمر ..

وازدادت الحبيبة دهشة ، وازداد قلبها خفقانًا :

ـ من جديد ؟!

وسرت خفقات قلبه هو أيضًا فى صوته الهامس ، فى نظراته التى راحت تهيم على وجهها الجميل هيام الفراش العاشق على صفحة بدره الساطع الذى يفتنه :

ـ نعم يا حبيبة العمر .. نعم .. من جديد .. من حيث افترقنا قبل ثلاثة وعشرين عامًا .. جئنا كى نُسقط من بيننا هذه السنوات الطويلة بأيامها ولياليها وقسوتها .. كى نصل ما انقطع بيننا قبل هذه السنوات المريرة .. كى نمحو من قلبينا مرارتها وأساها وشقاءها .. كى ننتصر للحب على ذلك المجهول البغيض المتربص به دومًا ، والذى لا يدع قصة حب إلا وقد ذبحها ، وكأنه يحيا على أشلاء الحب ولحومه ودمائه ..

و ....

وانقطع سيل البوح .. فقد طغى وجد العاشق الوسيم ابن الأربعينات ، مندفعًا هادرًا من قلبه ، ومن كافة حناياه ، مسابقًا الدماء فى شرايينه ، بالغًا الحلقوم ، طافحًا على الوجه ، راسمًا على الملامح سكرات الخوف والرجاء ، مما جعل الحبيبة تسرع

بضمـه فـى حضنها ، ضمـة الطير لوليده ، هاتفـة فيـه بخفوتـهـا المشفق المختلج بخفوق قلبها :

ـ حبيبى .. طمئن قلبك .. طمئنه يا حبيب القلب والعمر ، طمئنه .. فهأنا بين يديك .. ها أنا ملكك بكل ما فىّ .. بقلبى .. بعقلى .. بكنوز أنوثتى .. بينابيع حبى وحنانى .. بكل ما تبقى لى من رصيد فى الحياة .. ها أنا أمام عينيك ، وبين يديك .. وفى حضنك .. فطمئن قلبك يا حبيب القلب .. طمئنه بأن تلك السنوات التى تتحدث عنها طويت .. صفحة وطويت إلى الأبد .. وطمئنه بأن ذلك المجهول البغيض المتربص دومًا للحب ، والذى طعن حبنا يومًا ما بسكينه الغادر أبدًا لن يجرؤ على الاقتراب منه مرة أخرى .. وطمئنه بأننى وعيت الدرس ، ونضجت ، وأيقنت بأنه لا وطن لى إلا حضنك هذا .

فقط يا حبيبى ..

فقط عدنى بشىء واحد .

وانفلت تساؤل حبيبها ملهوفًا من قلبه .. من أعماق قلبه :

ـ ما هو يا حبيبة العمر ؟

ـ عدنى بألا تخذلنى أبدًا يا حبيبى .

انفلت تساؤله مندهشًا مستنكرًا :

ـ أنا ؟! أنا أخذلك يا (ماجى) ؟!

وكان ردها بمنتهى الرجاء :

ـ حبيبى .. عدنى .. عدنى .

وجد نفسه يرفع رأسها عن صدره ، هائمًا على وجهها بنظراته المرفرفة بخفقات قلبه ، حتى انساب من شفتيه وعده لها :

ـ أعدك يا حبيبتى .. بكل قدسية الوعد أعدك .

وكأنها اقتنصت وعد العمر ، أغمضت الحبيبة عينيها على العهد الثمين ، معيدة رأسها على صدر حبيبها ، سابحة فى إحساسها الهانئ بالأمان .

★ ★ ★

خمدت أزمة القاضيين (مكى) و(البسطاويسى) ، وأستعاد نادى القضاة هدوءه الجليل الجميل ، وعاد يستقبل أهله من رجال القضاء وذويهم ، ومن بينهم كان القاضيان (حسين زيتونة) و(خالد الصاوى) ، واللذان ما لبثا أن نهضا مستقبلين صديقهما المستشار (جلال عبد الباسط) وصاحبته الفاتنة المقبلة معه ، وبادرهما المستشار (حسين زيتونة) ، وهو يصافح المستشار (جلال) :

ـ أهلاً .. أهلاً (جلال) بك .

وأردف ، وهو يصافح (ماجى) :

ـ أهلاً (ماجى) هانم .

وأجابته (ماجى) بابتسامتها الفاتنة مثلها :

ـ أهلاً (حسين) بك .

وأردفت وهى تصافح المستشار (خالد الصاوى) :

ـ مبروك لحضراتكم .

وتساءل المستشار (حسين زيتونة) ، وهو يشير لها بالجلوس :

ـ علامَ يا هانم ؟

جلست بينهم مجيبة :

ـ على انتهاء أزمة سيادة المستشارين (مكى) و(البسطاويسى) بخير .

ابتسم المستشار (خالد الصاوى) متسائلاً فى إعجاب :

ـ وهل كنت تتابعينها يا (ماجى) هانم ؟

وجاءه الجواب سريعًا .. حاسمًا :

ـ طبعًا يا باشا .

ثم إذا بها تردف قائلة وهى توزع نظرات الإجلال على وجوه القضاة الثلاثة :

ـ قدسية القضاء راسخة فى قلب الشعب كله .. شيخًا وطفلاً .. متعلمًا وجاهلاً .. ولقضاتنا فى قلوبنا جميعًا مكانة لاتدانيها مكانة .. ويوم أن يخطر لمخلوق مهمًا علا عرشه أن يمس هذه المكانة ، فإنه لن يجنى من وراء هذا سوى الخسران المبين .

وسكتت الهانم ، فإذا بعيون القضاة الثلاثة تتعلق ببعضها فى دهشة وانبهار طاغ ، حتى التفت إليها المستشار (جلال) بنظراته المنبهرة ، قائلاً لزميليه :

ـ هذا ليس غريبًا من (ماجى) هانم .. فأولاً هى حقوقية ابنة كلية الحقوق .. وثانيًا هى ربيبة عائلة مصرية عريقة مشهود لها بوطنيتها .

وكان ردَّ (ماجى) :

ـ شكرًا يا (جلال) بك .. وأكرر تهنئتى لحضراتكم .

وإذا برد المستشار (حسين زيتونة) مداعبًا :

ـ عقبال تهنئتك لـ (جلال) بك يا (ماجى) هانم .

فوجئت (ماجى) :

ـ تهنئته ... علامَ يا (حسين) بك ؟

ـ على انتهاء أزمته هو أيضًا .

ازدادت دهشـة (مـاجى) ، والتفتت إلـى المستشـار (جـلال) متسائلة :

ـ أية أزمة يا (جلال) بك ؟

وإذا بالجواب يأتيها من المستشار (خالد الصاوى) :

ـ أزمة سى (رامى) !

شىء ما اختلـج بشـدة فى وجـه (مـاجى) ، وجعل نظراتهـا تتسمر على وجه المستشار (خـالد الصـاوى) لوهلـة ، أسرعت تبترها بابتسامة مرتعشة وسؤال متوتر :

ـ من يكون (رامى) ؟

وجاءها الجواب من المستشار (حسين زيتونة) :

ـ قاتل الموسم .

وإذا بالمستشار (خالد الصاوى) يسرع بالالتفات إلـى المستشار (حسين زيتونة) قائلاً بلهجة يشوبها العتاب :

ـ تقصد « متهم الموسم » يا (حسين) بك .

وكان ردُّ المستشار (حسين) بشىء من الخجل :

ـ آسف يا (خالد) بك .. ولكن المشكلة أن (جلال) بك مسلِّم فى داخله بأنه القاتل .

ولم يملك المستشار (خالد الصاوى) إلا أن يلتفت إلى المستشـار (جلال) بنظرة متسائلة ، فكان جواب المستشار (جلال) بشـىء من الضيق :

ـ (حسين) بك عنده حق .

ثم إذا به يردف وكأنه يحدث نفسه :

ـ ليس عندى أدنى شك فى أن هذا الولد هو القاتل .

وللمرة الثانية وخز (ماجى) نفس الشىء المجهول المؤلم ، فـى حين انفلت تنبيــه المستشــار (خــالد الصــاوى) المشـوب بانزعاجه :

ـ (جلال) بك !

وكان ردُّ المستشار (جلال) بشىء من الأسى :

ـ لا تقلق يا (خالد) بك .. هذا شعورى كإنسـان لا كقـاضٍ .. لا تقلق ..

وهدأ هـاجس المستشـار (خـالد) فـى حين أردف المستشــار (جلال) يزيده اطمئنانًا :

ـ ثم إنك لا تنس يا (خـالد) بـك ويـا (حسين) بـك أنـه فـى قضية كهذه الإدانة تشترط إجماع آراء القضاة الثلاثة .

واطمأن القاضيان ، ولكن فى المقـابل بـدت (مـاجى) ولسبب مجهول وكأنها هوت فى قاع بلا قرار .

* * *

الفصل التاسع

مـا إن وقعت عيون (نرمين) وخطيبها علـى (رامـى) فـى قفص الاتهام ، حتى اندفعا نحوه ، هامسين له معًا فى انفعال :

ـ (رامى) ! أمك هنا فى « مصر » .

انتفض (رامى) من غرابة ما سمع ، وإذا بـ (نرمين) تكمل عليه :

ـ أتعلم مع من شاهدناها ؟

حدجها (رامى) بذهوله متسائلاً ، فكان جوابها :

ـ مع المستشار (جلال عبد الباسط) .

هنا وجد (رامى) نفسه يبتسم مشفقًا علـى الفتـاة وخطيبهـا ، وهو يسألهما :

ـ ما هذا ؟ أهو تأثير حزنكما علىّ ؟

وكان ردّ (نرمين) :

ـ لا يا (رامى) .. نحن لا نهذى .. أمك (ماجى) هانم كـانت مع المستشار (جلال) .

وإذا بخطيبها يؤمّن على حديثها :

ـ نعـم يا (رامـى) أمك هنـا ، وشـاهدناهـا بعيوننا مع القـاضى .

هنا اختفت ابتسامة (رامى) ، لتنعقد ملامحه بعقدة الذهول ، ولتشخص عيناه فى صديقيه ، وقد هم بأن ينطق بشىء ، ولكن صيحة الحاجب كانت أسبق منه .

* * *

ـ محكمة !

وأطبق الصمت والسكون على القاعة ، ليبدأ وكيل النيابـة الشاب مرافعته :

ـ حضرات المستشارين ..

ليلة أمس ، وبينما كنت فى منزل عائلتى ، فوجئت بمجموعة من أصدقاء شقيقى الطالب الجامعى تسأذننى فى الحديث إلىّ ، وبأحدهم يبادرنى متسائلاً :

ـ يا باشا .. لماذا تجهد نفسك فى قضية كهذه ؟ فحتى لو حدث أن حكمت المحكمة على (رامى) بالإعدام ، فلن يُعدم .

دُهشت وسألته :

ـ كيف ؟!

وكان ردُّ صديق ثان بثقة عجيبة :

ـ سيتم تهريبه إلى خارج البلاد .

وازدادت دهشتى ، وعدت أسألهما :

ـ كيف ؟!

فكان ردُّ فتاة من بينهم وببساطة متناهية :

ـ بأموال وعلاقات عائلته يا أستاذ .

وهكذا يا حضرات المستشارين ، وضع هؤلاء الشباب يدى على مربط الفرس فى هذه القضية ، سواءً بقصد أم بدون قصد .

فمنذ حقبـة مـن الزمـن أُبتليت « مصر » بمنـاخ سياسـى واجتماعى حمـل معه الحياة للطفيليات والآفات ، ولكل ما هو خبيث وضار ، وحمل الموت البطىء لكل ما هو طيب ومفيد .. وكان من بين الشطر الأول المحظوظ فئة عجيبة راحت تنمو وتشتد وتتعافى ، وتتوحد بسرعة عجيبة ، منتهزة فرصة هذا المنـاخ المثالى لها ، حتى كونت طبقة خاصة بها ، سـرعان ما انفصلت عن المجتمع الأم ، معلنة دولتها المستقلة ، ورافعة رايتها الخاصة بها ، ومشهرة دستورها ..

أتعلمون ماذا يحوى دستورهم هذا يا حضرات المستشارين ؟

يحوى مادة واحدة !

مادة واحدة فقط تقول : « بالمال نفعل كل شىء ولا مستحيل علينا ..

وهكذا منحت هذه الدولة الطفيلية نفسها الحق فى فعل أى شىء بأموالها ، فانطلقت تستبيح كل ما يصادفها فى دولة الفقراء التى انفصلت عنها ..

انطلقت تستبيح عرقهم ، وعافيتهم ، وكرامتهم ، وأعراضهم ، وصولاً إلى أرواحهم ..

وما هذه القضية التى نحن بصددها اليوم يا حضرات المستشارين سوى مثال حى على هذا .

فالمتهم الماثل أمامنا اليوم يا حضرات المستشارين ، وُلد فى نهر جارٍ من الأموال .. الأب واحد من أكبر عشرة تجار سلاح فى العالم ، والأم سيدة أعمال تمتلك نصف مصرف مالى فى « أمريكا » .. وبالطبع لم يكن فى هذا ما يعيب متهمنا أو ينذر بمشكلة من ناحيته ، ولكن المشكلة ما لبثت أن بدأت بوفاة الأب ،

وبغرق الأم فى أعمالها وأموالها التى ورثتها عن زوجها ، تاركة ابنها الوحيد هنا لدولة الفساد ، يترعرع فيها بأموال أمه ، ويعيث بدستورها فى الأرض فسادًا .

وعلى الجانب الآخر يا حضرات المستشارين يظهر فى الصورة شاب فقير مكافح ، يتيم الأبوين ، لم يخرج من دنياه إلا بقلب فتاة طيبة مثله ، ومن نفس ظروفه ، وضعت يدها فى يده ، ومنحته قلبها ليستعين به على شق طريق كريم لهما فى الحياة ، وسط ظروف مضنية ، شديدة القسوة .

وجمعت الأقدار بين الاثنين يا حضرات المستشارين ..

بين المتخم بنعيم الحياة ، والمكتوى بسعيرها ، ولا يملك سوى قلب طيب أحس به .. فإذا بالمتخم الذى يملك كل شىء ، والمشبع بكل ما لذَّ وطاب إلى حد التخمة يطمع فى الكعكة الوحيدة التى فى يد اليتيم الفقير .. وحينما يحاول هذا اليتيم التمسك بكعكته التى فيها حياته ، يكون عقابه وأد حياته نفسها .

هذه هى الصورة يا حضرات المستشارين ..

صورة فئـة اشتدت ، وتعافت ، وطغت ، وافترت ، وصـارت تتلذذ بممارسة طغيانها وافترائها .. وليتها تفترى على غرباء .. بل على إخوة لهم ، كل ذنبهم أنهم فقراء ..

هذه هى الصورة يا حضرات المستشارين .. صورة أدميين غدوا وحوشًا مسعورة بثرائهم الفاحش ، وبنفوسهم المريضـة .. فانطلقوا يعيثون فى الأرض فسادًا ، مستبيحين كل مـا يصـادفهم حتى أعراضنا وأرواحنا .

هذه هى الصورة يا حضرات المستشارين .. صورة ظلم صـار قانونًا ، وطغيان ظن أنه لا رادع له ..

ولكن لا ..

لا وألف لا ... يا حضرات المستشارين ..

سيظل ميزان العدل منصوبًا فى يد الرحمن إلى يوم الدين .

وسيظل هناك خلفاء للرحمن فى أرضه ، يقيمـون عدله إلى أن يرث الله الأرض وما عليها .

وما أنتم إلا هؤلاء الخلفاء يا قضاة الأرض ، وسدنة العدالة .

وما أنتم الآن إلا فى موقف مشهود ، قلوبنا معكم فيه ..

وارتفع صوت وكيل النيابة الشاب مزلزلاً القاعة :

ـ نعم يا حضـرات المستشـارين .. موقفكم هذا مشـهود .. يشهده المولَى ـ عز وجل ـ من فوق عرشه ، وملائكته لينظـروا ما أنتم فيه فاعلون .

فالعدل .. العدل .. العدل .. يا سدنة العدل ..

والعدل هنا هو القصاص يا حضرات المستشارين ..

القصاص من وحش مسعور قتل نفسًا بغير حق ..

وحش لم تأخذه ذرة رحمة وهو يقتل بغير ذنب ، فلا تأخذنـا بـه ذرة رحمة ونحن نقتص منه بذنبه ..

ومن هنا يـا حضرات المستشـارين ، فـإن النيابـة ــ وبعد أن قطعت كل الأدلـة بإدانـة المتهـم (رامـى شـريف السـلحدار) .. تطالب عدالتكم بتوقيع أقصى عقوبة على المتهـم ، وهـى الإعدام شنقًا .

★ ★ ★

الفصل العاشر

من سواها ؟!

(ماجى) !

بجمالها الذى يذيب الحجر ..

بطزاجة أنوثتها المشتعلة ..

بالجنة الموعودة التى تلوّن عينيها ..

بكل هذا ، من سواها بمقدوره انتشال القاضى الوسيم من طحنة أعصابه التى خرج بها من الجلسة ، وغسله من آثارها فى طرفة عين ، بل وغمره بقطفة طازجة من السعادة والبهجة والانتعاش ..

انطلقت به هذه المرة بسيارتها « الشيروكى » من أمام المحكمة إلى طريق « القاهرة الإسماعيلية » الزراعى ، وقد أدارت له رائعة « ثومة » « هذه ليلتى » .. تلك الأغنية التى تذيبه متى سمعها ، فما البال وهى تحمل له الآن وعد العمر .. استرخى فى مقعده ، تاركًا نفسه تغتسل بهذا الجمال الغامر ..

جمال الجبيبة الفاتنة المنطلقة بالسيارة ، بينما عيناها تهدهدانه بكل ما فيها من سحر وفتنة ووعود .. وجمال شدو « ثومة » الذى يسكر الروح ، وجمال الطريق المفروش على الجانبين بالخضرة المتوضئة بحمرة شمس الأصيل .. شلال غامر من الجمال ، جعله يروح فى إحساس هانئ ، حتى رن (موبايله) .. فتحه فإذا بحبيبة قلبه (شيماء) .. أسرع يجيبها :

ـ « شوشو » حبيبتى ! آسف يا قطتى لتأخرى عليك .. أنا مع ماما (ماجى) .. الله يسلمك يا حبيبتى .. لا ، كلى أنت مع جدو ، فسوف أعود متأخرًا .. شكرًا يا حبيبة بابا .. باى ..

وأغلق (الموبايل) باسمًا ، فقد أسعده صوت قطته الصغيرة ، والتقطت (ماجى) إحساسه الذى أضاء وجهه ، فابتسمت قائلة :

ـ نسيت أسألك عن عمرها .

ـ أول يناير القادم ستتم السابعة .

انفلتت دعابتها :

ـ إذن فقد أنجبتها وأنت عجوز .

وكان رده بشىء من المرارة :

ـ تزوجت وأنا اقارب الأربعين من عمرى .

شاع الدلال فى نبرتها :

ـ كنت تنتظرنى ؟

ـ كنت انتظر النسيان .

انفلتت منها نظرة تحد ماكرة :

ـ وهل نسيت ؟

وجد نفسه يتأملها مليًا بنظرة عميقة تفيض استسلامًا أكده جوابه :

ـ كنت أعتقد أنى نسيت وها أنا اكتشفت أننى كنت واهمًا ..

رقص قلبها طربًا لاعترافه ، دون أن يظهر أثر لذلك على وجهها ، ولا فى نبرتها ، بل بدت مشفقة عليه وعلى نفسها ، وهى تسأله :

ـ إذن فأنت تعترف بأنه لازواجك ولا إنجابك ، ولا حتى السنوات الطويلة استطاعوا أن ينسوك حبى .

وجاءها الرد بمنتهى الاستسلام :

ـ نعم .. أعترف .

وكان ردها وهى تغالب دموعها :

ـ إذن فعليك أن تصدقنى حين أعترف لك أنا أيضًا بأنه لازواجى ، ولا إنجابى ، ولا السنوات الطويلة التى باعدت بيننا استطاعوا أن ينسونى حبك .

يا له من اعتراف !!

اعتراف وقع فى قلبه .. فى أعمق أعماق قلبه كقطرة رحيق مصفًى تحمل الفرحة والأمل وشهد الحياة .. وجد نفسه يعانقها بعينيةٍ بكل ما فى القلب من حب ومن حنين .. وتحركت يده محتضنة يدها تبثها خفق القلب ، ولفح الحنين .. حنين قلب كواه الظمأ ثلاثة وعشرين عامًا ، ثلاثة وعشرين عامًا بكل ما فيها من أيام ومن ليال ومن ساعات .. وغابت عينا القاضى الوسيم العاشق فى عناق عينى الحبيبة الفاتنة ، حتى أفاقا على سرينة سيارة مرقت بجوارهما ؛ لتنفلت منهما ابتسامتهما تحملان خجلهما ونشوتهما ..

كانا قد بلغا طريق قناة السويس الممتد بمحاذاة القنـاة ، رابطًا أوصال مدنها الباسلة من « بورسعيد » شمالاً إلى « السويس » جنوبًا .. وكان قرص الشمس قد سقط خلف خط الأفق مخلّفًا آثـار حمرته الملتهبة فوق الحقول الخضراء الممتدة على يمين الطريق لترسم لوحة طبيعية ربانية بديعـة ، راح القاضى الوسيم يروى عينيه منها لبرهة ، ثم التفت نحو القنـاة علـى يساره ، لـيرتوى بجمالها هى الأخرى .. فقد كـانت جميلـة حقًا بصفحتها الفضية الرقيقة الوادعـة .. وكعادتـه كلمـا قادتـه الظروف إليهـا ، وجـد نفسه يتذكّر شقيقه الأكبر الذى استشهد فى حرب أكتوبر .. ثلاثة وثلاثون عامًا مضت على استشهاده ، ولم ينسه يومًا .. ما عاد يتذكـر أولئك الذين اقتنصوا أعظم انتصارات « مصر » علـى الإطلاق بأرواحهم ودمـائهم سـوى ذويهـم .. تحركـت شـفتاه متمتمة بالفاتحة على روحه ، وما أن أتمها حتى كـانت الحبيبة الفاتنة تستدعيه من شروده :

ـ ما الذى أخذك منى يا حضرة القاضى الوسيم ؟

ـ أخى المقدم (فتحى) الله يرحمه .

ربتت على يده مواسية :

ـ كل هذه السنوات ، وما زلت متأثرًا بوفاته ؟

ـ تقصدين استشهاده .

قالها بلهجة تحمل عتابًا واضحًا ، جعلها تسارع بالاعتذار لـه على الفور :

ـ أنا آسفه يا حبيبى .. خاننى التعبير .

أجابها مبتسمًا :

ـ لا عليكِ يا حبيبتى .

ومد يده فى جيبه مستخرجًا علبة سجائره .. أشعل سيجارة وراح للحظات مع دخانها ، حتى قطع عليـه شروده صخب مجموعة من الشباب والفتيات ، يغنون ويرقصون فوق يخت أنيق يتهادى فوق صفحة القنـاة .. توقف بعينيه وبشروده عليهم ، حتى سمع (ماجى) تقول :

ـ يخيّل إلىّ أن مصريى أكتوبر كـانوا آخر المصريين الذين نقرأ عنهم فى كتب التاريخ .

التفت إليها مستغربًا العبارة :

ـ عفوًا يا (ماجى) .. ماذا تعنين ؟

ـ أعنى أنه لو نشبت حرب الآن لن يكون لدينا محاربون أمثال محاربى أكتوبر ، ولا جبهة شعبية رائعة مثل التى وُجدت آنذاك .

صُدم القاضى :

ـ أنت ترين هذا ؟

أشارت بعينيها إلى الراقصين والراقصات فوق اليخت :

ـ ها هو واقع الحال يا سيادة المستشار .

انفلت منه تساؤله مشحونًا بالسخرية :

ـ واقـع الحـال ؟! وهـل واقـع الحـال فى هؤلاء يا (ماجى) هـانم ؟

وأخذ نفسًا من سيجارته ، ثم أردف يجيب لها سؤاله بنفسه :

ـ واقع الحال يا (ماجى) فى الناس الذين يصلون ليلهم بنهارهم عملاً .. أيًا كانت مواقعهم .. فى الناس التى تقاتل صعوبـة الأيام التى تعيشها .. فى الناس التى اعتصرتها أطـول أزمـة اقتصاديـة فى تاريخنا ، ومع ذلك لم يهن عزمها ..

واقع الحال يا (مـاجى) ليس فى هؤلاء الذين يملكون كل شىء ولا يفعلون لبلدهم شيئًا ، بل فى الذين لا يملكون شيئًا بالمرة ، ومع ذلك لا يتوقفون عن العطاء .

ولم تستطع بنت الذوات تمالك تساؤلها الـذى فضح عـدم اقتناعها بما تقول :

ـ كيف يا سيادة المستشار ؟ كيف يعطى من لا يملك ؟

وكان ردُّ المستشار عليها بمنتهى الهدوء :

ـ سأخبرك كيف يا (ماجى) بمثال حقيقى مائة فى المائـة .. أعرف مصارعًا شابًا حصل على سبع جوائز محلية ودولية وفى الوقت ذاته يعمل نجـار مسلح ، كى يستطيع تدبير نفقات هذه الرياضة المعروفة بتكاليفها الباهظة .

ضرب الانبهار بنت الذوات :

ـ معقـول !

ـ نعـم .

ـ أو ما يزال يفعل ذلك ؟

ـ نعم .. بل ومُصِرّ على بلوغ العالمية بظروفه هذه .

ولم تستطع بنت الذوات كبح جماح انبهارها الذى طغى ، ولم تستطع منع تساؤلها :

ـ أيمكننى معرفته .

وكان ردُّ القاضى فى إجلال متناهٍ للبطل الغائب :

ـ لا طبعًا ، فهو يعمل بهذه الحرفة متنكرًا .

وإذا بمداعبتها الجريئة :

ـ آه لو عرفت له طريقًا ؛ لتحفظت عليه فورًا .

وإذا بضحكة القاضى الوسيم تنفلت منه ، ثم يجيبها قائلاً :

ـ لو حدث هذا ما صار بطلاً إلا عليكِ .

وجلجلت ضحكة بنت الذوات بأنوثة حارقة .. فالأنثى هى الأنثى مهما اختلفت البيئات ..

★ ★ ★

حتى هذه اللحظة لم يكن القاضى الوسيم يعلم إلى أين تأخذه هذه الفاتنة التى اختطفته من أمام المحكمة .. وحينما انتبه إلى

ذلك ، أسرع يسألها مندهشًا من نفسه لعدم سؤاله لها ، رغم أنها تنطلق به منذ ما يزيد على الساعة ونصف ، وكان ردها مبتسمة ، ومندهشة هى الأخرى لأمره :

ـ أتسألنى بعد أن وصلنا ؟

وتوقفت أمام فيلا بنية أنيقة منتصبة فى خيلاء على ضفة القناة ، بمدخل بلدة « كسفريت » .. ضغطت كلاكس السيارة ، فانفتحت بوابة الفيلا الضخمة ، بواسطة حارسين شابين فى غاية الأناقة .. مضت بالسيارة فى ممر طويل محفوفًا بحديقة آية فى الروعة ، يتناثر فيها ما يقرب من نصف الدستة من الحرس الأنيقين المسلحين ، موزعين على مسافات متساوية .. توقفت أمام الباب الداخلى للفيلا ، فأسرع اثنان من الحرس بفتح بابى السيارة للضيفة الفاتنة ورفيقها بمنتهى الاحترام ؛ وليقوداهما إلى داخل الفيلا ، بينما القاضى الوسيم يجاهد فى إخفاء دهشته وفضوله بوقاره ورصانته .. ولكن داخل الفيلا كانت المفاجأة الثقيلة التى أطاحت بكل قيود دهشته .. إنها شخصية صاحب الفيلا الذى أقبل عليهما مرحبًا بمجرد دخولهما بهوها الرئيسى :

ـ معقــول !

هكذا انطلقت هتفة القاضى الذاهلــة داخل نفســه ، و(مــاجى) تقدمه للرجل الذى يمثّل ركنًا رئيسيًا من أركان الدولة :

ـ سيادة المستشار (جلال عبد الباسط) .

وكان ردّ الرجل المهيب باسمًا ، وهو يمد يده للقاضى الوسيم مصافحًا :

ـ أهلاً سيادة المستشار .. حمدًا لله على السلامة .

ولم يعرف القاضى الوسيم كيف خرج رده من شفتيه :

ـ الله يسلمك يا افندم .

ونظرت (مــاجى) بعينيهـا الفــاتنتين الباســمتين إلـى القــاضى المذهول ، قائلة فى تبسم :

ـ وطبعًا يا سيادة المستشار سيادتك تعرف الباشا .

ولم يملك القــاضى لهـا جوابًا ســوى ابتســامة ذاهلــة ، انتشلـه منها الباشا قائلاً :

ـ تفضلا .

وقادهمــا إلــى الصــالون المطل على مياه القنـاة عــبر شــرفة زجاجيـة ضخمـة ، حيث دعاهمـا إلــى الجلــوس ، وجلــس هــو قبالتهمـا مرحبًا ، فأجابـاه بالشكر ، ثـم التفتــت (مــاجى) إلـى القاضى الوسيم تشاكسه بسؤالها :

ـ ما رأيك فى هذه المفاجآة يا سيادة المستشار ؟

وكان ردّ المستشار بدهشته التى لم تبرحه :

ـ وصف مفاجأة هنا لا يكفى يا (ماجى) هانم .

وكان ردّ الباشا مداعبًا :

ـ المهم أن تكون مفاجآة سعيدة يا سيادة المستشار .

وكان ردّ المستشار :

ـ بل هى وسام على صدرى سـأظل أفخر بـه طيلـة حياتى يا معالى الباشا .

وكان ردّ الباشا ببشاشته الحلوة :

ـ بل إنه شرف لــى أن التقـى بواحـد مـن قضاتنـا الذيـن نفخـر بهم .

ـ شكرًا يا باشا .

وعادت (ماجى) تقول للقاضى :

ـ بقى أن تعلم يا سيادة المستشار أن الباشا كان صديق العمر لبابا ـ الله يرحمه ـ ، ويعتبرنى ابنة له .

وكان ردّ الباشا قبل أن يعلق القاضى بشىء .

ـ بل أنت ابنتى فعلاً يا (ماجى) .. وأنا ، ومنصبى ، وكل ما أملك ملكٌ لكِ .

وكان ردّ (ماجى) :

ـ وأنا ليس عندى أدنى شك فى هذا يا باشا .. وفخورة به ..

شىء ما استوقف القاضى ، وحرك فيه شعورًا غامضًا ، وهو أن (ماجى) وهى تجيب الباشا بهذا كانت تنظر إليه هو ، لا إلى الباشا ، وكأنها تبعث له عبر نظراتها برسالة ما .. بل إن عبارة الباشا الأخيرة لـ (ماجى) فاحت منها رائحة نفس الشىء ..

ما الحكاية ؟

سؤال مرق فى بال القاضى ، ولكنه سرعان ما أفاق منه على صوت خادمة الباشا الفلبينية :

ـ السفرة جاهزة يا باشا .

ونهض الباشا مصطحبًا ضيفيه إلى المأدبة الحافلة ، والتى بدت بضخامتها وصنوفها وكأنها وليمة احتفال ، لا مجرد مأدبة عادية .. وأجلسهما الباشا ، وجلس هو فى صدر المائدة قائلاً لهما بلهجته الراقية :

ـ تفضلا .

ومن المأدبة الحافلة إلى الصالون البحرى الفاخر مرة أخرى ، حيث راح كل منهم يتناول مشروبه الذى طلبه ، ودون أن يهمد سؤال القاضى الوسيم بداخله ..

ما الحكاية ؟

ولكن السؤال المشاكس فجأة توقف .. أوقفته (ماجى) بقولها للقاضى الوسيم :

ـ طبعًا يا سيادة المستشار الوسيم سيادتك منذ وصولنا إلى هنا وأنت تضرب أخماسًا فى أسداس عما وراء هذا الذى يحدث .

وكان ردُّ القاضى مكايدًا لهفته برصانته :

ـ يكفينى شرفًا وجودى معك أنت والباشا يا (ماجى) هانم .

وكان ردُّ الباشا برقيه :

ـ بل الشرف لنا نحن يا سيادة المستشار .

وعادت (ماجى) تكمل حديثها للقاضى :

ـ أنت هنا يا سيادة المستشار لتطلب يدى من الباشا .

! ! ! ! ! ! ! ! ! ! ! !

قنبلة !!

قنبلة خرافية دوّى انفجارها داخل المستشار ، مبعثرًا شظاياها فى انحاء كيانـه ، مفجّرًا كافـة براكين ذهولـه ، وجـاعلاً عينيـه تتسمران على وجه المرأة الفاتنة العجيبة ، فإذا بملامحها جادة ، تؤكد ما قالته ، وإذا بعينيها تتطلعان إليـه انتظـارًا لـرده .. التفت إلـى الباشا ، فإذا به هو أيضًا يتطلّع إليه بعينين نـافذتين متسـائلتين ، وهـو يسحب نفسًا متأنيًا من سيجارة الكوبى الفـاخر .. عـاد بنظراته المصلوبة بذهولها إلى وجه (ماجى) ، فإذا بوجهها قد انطفأ انكسارًا ، وإذا بها تقول بكل خزى وألم النادم :

ـ هاأنا يا (جلال) أرد لك حقك الذى فى عنقى .. فذات يـوم بعيد ارتكبت سقطة عمرى بأن خذلتك وتخليت عنك ، واليوم أنـا أعرض نفسى عليك ، فإذا مـا قبلتنـى كنـت أسـعد امـرأة فـى الوجود ، وإذا ما رفضتنى ...

ولم تكملها ، فقد أسرع (جلال) بمقاطعتها راجيًا :

ـ لا يا (ماجى) .. لا تكمليها .. بل إنه لشرف لى أدفع فيـه عمرى مهرًا ولا يكفى .

وإذا بالباشا هو الذى يجيبه :

ـ بل مهرها أبسط من هذا بكثير يا (جلال) بك .

وكان ردُّ القاضى فى لهفة :

ـ ما هو يا باشا ؟ أأمرنى .

ـ ابنها !

فوجئ القاضى ، ولم يفهم :

ـ ابنهـا ؟!

ـ نعم .. ابنها الوحيد .

عاد القاضى يتساءل بدهشته :

ـ وهل لها ابن ؟

راح الباشا يأخذ نفسًا طويلاً من سيجاره ، ثم كان جوابه للقاضى ، وعيناه ترقبه بتركيز من وراء الدخان الذى نفثه :

ـ (رامى شريف السلحدار) !

ردد القاضى الاسم كأنه سبق له سماعه ، ثم إذا به ينتفض كم لدغه عقرب ..

ـ (رامى) الذى ....

وكان جواب الباشا بمنتهى الهدوء :

ـ نعم (رامى) الذى تحاكمه .

حجر ..

حجر خرافى كأنه نيزك عملاق من جهنم سقط على رأس القاضى ، جاعلاً عينيه تشخصان فى الباشا بذهول يكاد يبلغ شفا الجنون ، وجاعلاً لسانه ينعقد داخل فمه ، عاجزًا عن النطق بحرف ..

وها هو القاضى الذى كان قد ظن نفسه قد بلغ باب الجنة منذ لحظات ينهض بمنتهى البطء والذهول ، وقد حط عليه كل غم الدنيا وكربها .

وها هو كل ما فيه ينعقد بالصدمة ..

عقله ..

قلبه ..

حواسه ..

وكل ما فيه ..

وبالكاد تحركت عيناه إلى وجه (ماجى) متسائلتين بذهولهما الجنونى ، فإذا به يرى وجهها كأنه قطعة من ضباب .. فحتى نور عينيه انعقد ، فانقلب كل شىء أمامه ضبابًا فى ضباب ..

وحتى (ماجى) والباشا ذاتهما فوجئا بحالته هذه ، وبديا وكأنهما لم يكونا يتوقعانها ، فالتفتا إلى بعضهما متبادلين نظرة قلق ، أسرعت على اثرها (ماجى) تمسك بالقاضى منادية بمنتهى القلق !

ـ (جلال) !

وبالكاد التفت إليها القاضى مرة أخرى ، ليتفرسها بنظرة طويلة ، هاجت فيها عشرات الأسئلة المؤلمة الذاهلة ، لخصها كلها فى سؤال واحد لها :

ـ لمـاذا ؟

وكان ردّ (ماجى) أن سارعت بالالتفات إلى الباشا مستنجدة به ، فإذا به هو الذى يجيبه :

ـ لأنها أم يا (جلال) بك .

وتضاعف ذهول القاضى :

ـ أم ؟!

ـ نعم يا سيادة المستشار ، أم ، وتريد أن تنقذ ابنها الوحيد من حبل المشنقة .

وكاد القاضى يُجن ذهولاً :

ـ بهذه الطريقة ؟! بهذا الخداع الحقير ؟!

هنا انطلقت هتفة (ماجى) فى فزع :

ـ لا .. لا يا (جلال) .. لم يكن خداعًا .. لم يكن خداعًا .

وانفجرت دموع السيدة مع كلماتها ، وهى تتقدم منه بانهيارها :

ـ أقسم لك يا (جلال) بأننى لم أخدعك للحظة واحدة .. كل جملة .. كل كلمة .. كل حرف خرج من شفتى كان صادقًا ، وكان يعبر عن حبى لك .. أنا لا أنكر أن عودتى كانت فعلاً لأجل ابنى .. ولكن بمجرد أن وقعت عيناى عليك .. وجدت حب السنين كله يصحو فى قلبى دفعة واحدة .. ووجدت قلبى يطير إليك رغمًا عنى ، ورغم حزنى وفزعى على ابنى .. وهذا هو الذى أربكنى .. فلم أعرف كيف أتصرف .. قلبى انشطر بينك وبين ابنى الوحيد .. وعقلى أيضًا انشطر بينكما .. هو ابنى وأنت حبيبى .. وخوفى من أن أفقد أحدكما أو أفقدكما معًا .. وخوفى من رد فعلك ، وأنت تملك رقبة ابنى فى يدك .. وخوفى من هذا الموقف الذى أنا فيه الآن .. كل هذا الخوف هو الذى أعجزنى عن مصارحتك بالأمر يومًا بعد يوم ، حتى وجدت نفسى أمام اللحظة الفاصلة ..

هذه هى الحقيقة يا حبيبى ..

أقسم لك بأن هذه هى الحقيقة ..

أبدًا لم يكن حبى لك خداعًا .

أبدًا لم أمثّل عليك الحب ..

ولم أكذب عليك فى حرف ..

ولم أخدعك للحظة ..

أنا فقط ارتبكت كأم .

أم فوجئت بابنها الوحيد معرضًا للشنق .

وفوجئت بأن نجاته فى يد حبيبها الذى جرحته جرح العمر ..

فماذا كنت أفعل ؟

ماذا كنت أفعل ؟

وإذا بالسيدة تهوى على قدمى القاضى تريد أن تقبلهـا ، وهـى تنتحب مرددة :

ـ ابنى وحبيبى ..

ابنى وحبيبى ..

ابنى وحبيبى ..

ومضت ترددها كالهذيان ، حتى ضاع صوتها فى هدير بكائهـا ، بينمـا تجمـد القـاضى والباشـا فـى مكانيهمـا ، وهمـا يحدّقـان فـى بعضهما ، وقد انخلع قلباهما من ضراوة الموقف ..

★ ★ ★

وعاد القاضى إلى منزله .. دخل الشقة مع آذان الفجر ، لا شـىء يربطه بالحياة سوى صوت (ماجى) البـاكى .. يطـن فـى أذانيـه كطنين النحل :

ـ ابنى وحبيبى ..

ابنى وحبيبى ..

ابنى وحبيبى ..

تهاوى جالسًا بأول مقعد صادفه فى الصالة ، ليُفاجأ به أبـوه وهو يخرج من غرفته للصلاة ، ولتنطلق منه هتفته الدهشة :

ـ ما هذا ؟! (جلال) ! متى عدت ؟

ولم يتحرك لـ (جلال) ساكنًا ، بينما فوجئ الأب باحتقان وجه ابنه وكأنه يشنق ، فانخلع قلبه جزعًا عليه :

ـ (جلال) حبيبى ! ماذا بك ؟!

ورفع القاضى عينيه إلى أبيـه ، فـإذا بعذاب العـالم كلـه يهدر فيهما ، مما جعل الأب يعاود هتافه فيه بمنتهى الفزع :

ـ (جلال) ! ماذا هناك ؟!

وإذا بجواب (جلال) وكأنه يحتضر :

ـ اتركنى قليلاً مع نفسى يا بابا .

وفوجئ الأب :

ـ كيف أتركك وأنت بهذه الحال ؟ كيف ؟

ـ أرجوك يا بابا .. أرجوك .

ولم يملك الأب إلا الاستجابة ، استدار ماضيًا إلى المسجد ، وهو يدعو بلطف الله .

★ ★ ★

أربعة أيام ، و(ماجى) تكاد تُجن .. (موبايل) حبيبها مغلق ، وتليفون منزله لا يحمل لها سوى جواب واحد من أبيه :

ـ سيادة المستشار مسافر يا ابنتى .

حتى فوجئ بها الحـاج (عبد الباسط) تقتحم عليه الشقة ، لتقبل يديه بالدموع كى يخبرها أين هو ، فلم يملك الرجل إلاّ أن يصارحها بأن ابنه لم يغادر غرفته منذ أربعة أيـام إلا من ساعة واحدة فقط ، فكان سؤالها بالدموع :

ـ وأين ذهب ؟

ـ ذهبَ إلى مكتب النائب العام :

وما كاد الرجل يتم جوابـه حتى كـانت (مـاجى) تنطلق إلـى سيارتها ، لتقفز بداخلها ، وتنطلق بها كالمجنونة ، ومن السيارة جريًا إلى دار القضاء العالى لتُفاجأ بالقاضى نازلاً السلم .. وتجمدت أمامه ، تحدّق فيه بنظرة المـوت التـى تحمـل تساؤلها المفزوع عما أقبل عليه ، فإذا بجوابه لها بمنتهى الهدوء :

ـ تنحيت عن نظر القضية يا (ماجى) هانم .

وفغر فاه المرأة مـن الصدمـة ، بينمـا أردف القـاضى لهـا بكـل أسف :

ـ للأسف يا (ماجى) هانم .. مهرك كان غاليًا علىّ .. مهرك لم يكن ابنك ..

مهرك كان شرف القضاء ..

وشرف القضاء لا يُقَـايض ولـو بحـب العمـر يـا .... بنـت الأكابر ..

ومضى نازلاً السلم بشموخ العظمـاء ، تاركها خلفـه تتهـاوى جالســة فى مكانهــا منكفئــة برأســـها على يديهـا ، وقـد انفجر بكـاؤها .

(تمت بحمد الله)

فوزى عـوض

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى



السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل



فوزى عوض

أغلى من الحب !

وأردف القاضى لها بكل أسف :
- للأسف ياهانم .. مهرك كان غاليًا علىّ .. مهرك لم يكن ابنك .. مهرك كان شرف القضاء .. وشرف القضاء لا يُقايض ولو بحب العمر يا بنت الأكابر ..

110

الثمن فى مصر 300
وما يعادلـه بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



